مادَّةُ "صَرف" دلالِيًّا وَنَحْوِيًّا

دِراسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ في القرآنِ الكريمِ والدراساتِ النَّحَويَّةِ

إعداد

د / عبد اللّه بن محمد بن المهدي الأنصاري

قسم اللغة العربية - شعبة اللغويات

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية

١٤٤٢هـ = ٢٠٢٠م

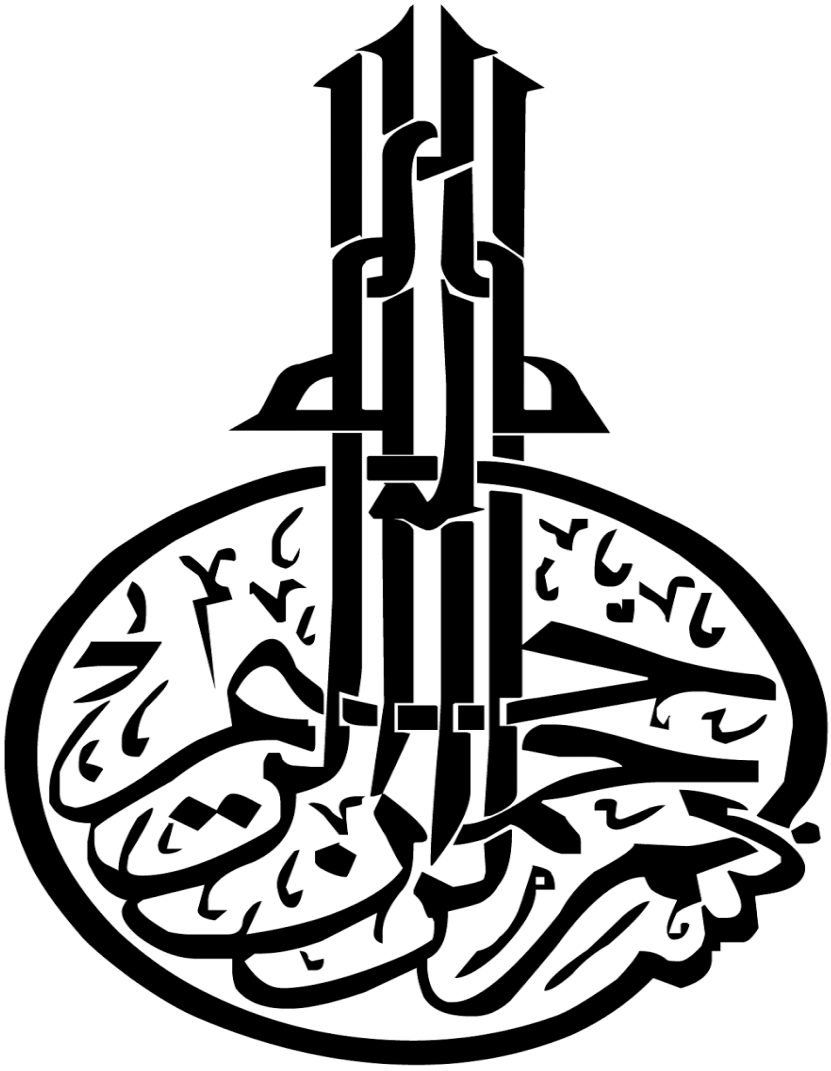

مادَّةُ "صَرف" دلاليًّا ونَحْويًّا دِراسَةٌ تَطْبِيقِيَّةٌ في القرآنِ الكريمِ والدراساتِ النَّحويَّةِ

عبد الله بن محمد بن المهدي الأنصاري.

قسم اللغة العربية – شعبة اللغويات – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية – السعودية البريد الإلكتروني:

amalansare@imamu.edu.sa

الملخص:

موضوع الدراسة كلمة"صرف" اللغوية، من حيث هي مشترَك لفظيٌّ ثريّ الوظائف في علم الدلالة، وتتناول صيغها ومشتقاتها، وما لها من دلالة معجمية، ونحوية، واستعمالاتها القرآنية، والاصطلاحات النحوية المشتقة منها، ومعانيها العلمية ووظائفها الاستعمالية، للكشف عن مدىٰ تطورها الدلالي علىٰ المستوىٰ الاستعمالي والنظري، بما يُسهم في إثراء الدلالة في مجال الدراسات النحوية، والربط بين المعاني اللغوية والاستعمال القرآني لهذه المفردة، والهدف: توضيح قيمة المصطلحات النحوية المشتقة من هذه المادة، وإزاحة الفهم الخاطئ في قصر هذه المصطلحات علىٰ جانب "علم الصرف" دون النحو، واستبانة أثر المزج بين الدلالات المشتركة في الاستعمال العلمي، من خلال معرفة دلالة اللفظ الجذرية في تحديد إطلاقاته في الدراسات اللغوية العلمية والمصطلحية، ويتكون البحث من مقدمة محتوية لطبيعة موضوعه، وخطته وعناصره، ثم بيان التأصيل المعجمي لمادة "صرف" ومعانيها الاستعمالية المشتركة عند العرب، ثم إحصاء لمشتقاتها الواردة في القرآن الكريم، ثم مصطلحاتها في الدراسات النحوية، مع إيضاح مفصل لعلاقة كل مصطلح بالدلالة الجذرية للمادة، والربط بين استعمالاتها النظرية والتطبيقية لدىٰ علماء النحو، وتناولت الدراسة موقف الاستعمال المعاصر لهذه المادة، علىٰ المستوىٰ العلمي والعُرف الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية:مادة– صرف– نحويا– دراسة– دراسات– تطبيقية– القرآن

An applied study in the Noble Qur'an and grammatical studies

By/ Abdullah Ibn Mohammed Ibn El-Mahdy El-Ansary, Arabic Department, Linguistics, Imam Mohammed Ibn Saud Islamic University, Kingdom of Saudi Arabia.
E-mail;- amalansare@imamu.edu.sa

Abstract:

The subject of the study is the linguistic word "morphology". It is a common phonetic with rich functions in semantics. It deals with formulas and derivatives, its lexical and grammatical significance, its Qur'anic uses, the grammatical conventions derived from it, its scientific meanings and its use functions, to reveal the extent of its semantic development at the use and theoretical level, in a way that contributes to enriching the connotation in the field of grammatical studies, and linking between linguistic meanings and the Qur'anic use of this term. The objective is to clarify the value of the grammatical terms derived from this subject, to eliminate the misconception in limiting these terms to the aspect "morphology" without grammar, and to identify the effect of mixing between common connotations in scientific usage, by knowing the meaning of the word's root in determining its releases in scientific and terminological linguistic studies. The research consists of an introduction containing the nature of its topic, its plan and its elements and then an explanation of the lexical foundation of "morphology" and its common usage meanings among Arabs, then a census of its derivatives contained in the Holy Qur'an, then its terminology in grammatical studies with a detailed explanation of the relationship of each term with the radical connotation of the subject and the link between its theoretical and applied uses to the grammarians. The study deals with the position of contemporary use of this subject on the scientific level and social norm.

Keywords:- Subject – morphology – grammatically – study – applied studies – Qur'an.

أصول البحث وتفريعاته

المقدمة: وفيها:

١-حديث عام عن فكرة الدراسة.	٢. مجال الدراسة	٣.مشكلة البحث
٤-فروض البحث.	٥.أهمية البحث.	٦. هدف البحث ومصادره
٧.منهج البحث.	٨. أسئلة البحث.	٩.هيكل البحث.
١٠-الدراسات السابقة.		

مكونات الدراسة

أوّلا: التأصيل المعجمي، وفيه:

١. المعاني المحورية والجذرية لمادة (صرف)

٢. التوسع في دلالتها، واستعمالاتها المجازية، قديمًا وحديثا.

ثانيا: مأخذ التصريف من "الاشتقاق"

ثالثًا: صِيَغُ(صرف) المستعمَلة في القرآن الكريم ودلالاتها السياقية:

١. "صَرْف" بصيغة مصدر الثلاثي المجرد:

٢. "صَرَفَ" المخَفَّف، ماضيه ومضارعه وأمْره، مجرَّدًا ومزيدًا:

٣. "صَرَّف" المضعَّف، بصيغَتَي الماضي والمضارع:

٤. صيغة المصدر من الرباعي بالتضعيف "تصريف"

٥. صيغة "مفعول"

٦. صيغة "مَفْعِل" الدالة علىٰ المكان

رابعًا: مادة "صرف" في الدراسات النحوية

١. "الصرْف" بمعنىٰ"التصريف"

٢. "الصرف" بمعنىٰ"الانصراف"

٣. إطلاق "التَّصرُّف" علىٰ عموم التغيير لفظًا ومعنًىٰ واستعمالًا.

٤. "الصَّرْف" عامِلًا نحوِيًّا عند الكوفيِّين.

خامسًا: الخاتمة والنتائج

سادسًا: ثَبَت المراجع

الكلمات الافتتاحية

مادة لغوية: مكَوَّنٌ لفظي ينتمي للغة.

الدلالة: ما تحيل إليه الكلمة من المفاهيم الخارجية والضمنية.

المعنى المركزي: المعنىٰ الأصلي، ويقال له: المعنىٰ الجذري، والمعنىٰ الأوّلي.

الدراسات النحوية: المعالجات التي تتناول "النحو" بالمفهوم الشامل، وتشمل: الصوت، والصرف، والتركيب، والدلالة.

الدراسات القرآنية: المعالجات العلمية؛ النظرية والتطبيقية؛ التي ميدانها القرآن الكريم، لفظًا ودلالةً وتركيبًا.

دلالة "صرف": المعاني التي تَرِد كلمة "صرف" دالَّة عليها لغةً واصطلاحًا أو استعمالًا.

اصطلح عليه: اتُّفِق علىٰ إطلاقه علىٰ شيء معيَّن عند أهل هذا النوع من الفنون العلمية، مثال ذلك: "المصطلح الصرفي" بمعنىٰ الشيء الذي اصطلح عليه علماء الصرف، و"المصطلح النحوي" بمعنىٰ الشيء الذي اصطلح عليه علماء النحو، وهكذا..

الْـــمُـقَدِّمَة

للكلمة في اللغة معناها الأصلي، وهو الأوَّلِيّ الذي يُبْنَىٰ عليه ما سواه[1]، وهو المعنىٰ "المركزي" أو "الجذري" للمفردة اللغوية، والمراد هنا المعنىٰ الوضعي خاصة، وهو الصورة الذهنية التي متىٰ أُطلِق اللفظ الموضوع لها حصلَتْ في العقل مرتبطة بذلك اللفظ[2]

والغالب عند المتكلمين باللغة ألا يتبادَر إلىٰ أذهانهم عند سماع الكلمة إلا معناها الأصلي الذي وُضِعَتْ له ابتداءً أو عُرْفًا، وهذا يسرِي علىٰ متكلمِي اللغةِ الذين يفهمون معانيها الوضعية أصالَةً، ويسري أيضًا علىٰ مكتسبيها بالتعليم، وأما المصطلحون من ذوي الفنون والمعارِف، فالمتبادر إلىٰ أذهانهم إنما هو الدلالات الاصطلاحية المتعارَف عليها في الفنّ الخاصّ، فمنهم مَن يربط تلك الدلالات بالمعنىٰ "الجذري" للمفردة، مستفيدًا من سعة مستواه اللغوي، ومنهم من لا يتجاوز الدلالة العلمية التي عُرِفتْ بها الكلمة في فنّه.

والمتكلمون باللغة عمومًا متفاوتون في إدراكهم لامتدادات دلالة الكلمة، واتساع استعمالاتها، وربط مجازاتها بحقيقة دلالتها الأصلية؛ لأن فهم دلالة الكلمة وثيق الصلة بعُمقها الدلالي، وبالفكْر علىٰ عمومه، والمستوىٰ الثقافي، والمحيط الاجتماعي علىٰ جميع مستوياته، وهي في كل ذلك تمثل في إطارها اللغويّ ما يمثله الإنسان في مجتمعه وبيئته، في نشاطه وحيويته وتأثيره في غيره، وتأثره بمحيطه.

---

١) انظر لتعريف "الأصل" الحدود للرماني صـ٧٣

٢) التعريفات للجرجاني صـ٣٠٧

والكلمة وحدة دلالية ذات أهمية كبرىٰ في الدراسات اللغوية، تمثل قمة أدوات "علم الدلالة"[١] وهو علم مخصص لدراسة المعنىٰ، علىٰ مستوىٰ المفردات والتراكيب والعبارات اللغوية[٢]، ويُعَدُّ فرعًا دقيقًا من فروع علم اللغة العام[٣]، **وتُعَرَّف الدلالة بأنها " كونُ الشيء بحالة يلزم من العلم به العلمُ بشيء آخر، والشيء الأول هو الدالُّ، والثاني هو المدلول"**[٤] فالكلمة "دالٌّ" والمعنىٰ الذي تُحيل إليه "مدلول عليه" وهذه الحالة الملزمة للعلم بالمدلول(المشار إليه في الخارج) هي المفهوم الأصلي للكلمة، حسب العُرْف التواصلي بين المتكلمين باللغة، إذ لاتكتسب المفردة مكانتها الدلالية إلا في سياقاتها التواصلية بين مستخدميها[٥].

إذن تتحدد القيمة المعجمية للكلمة في اللغة بوظائفها الدلالية، وهي الصور الذهنية، والمقاصد النفسية التي تشير إليها ابتداءً[٦]، ولا سيما وظائفها المتعلقة بطبيعتها اللفظية والمعنوية، فهي التي تُكسبُها المرونةَ والقدرة علىٰ التعبير عن المقاصد والأغراض المتعددة، والأساليب المختلفة، في المجالات العلمية والأدبية والدينية، وإلىٰ مثل هذا يمكن أنْ يُعزىٰ ما يسمىٰ في اللغة بـ(المشترك

---

١) انظر: دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس صـ٣٨.

٢) انظر: المنجد في اللغة العربية صـ٤٧٩، ونظرية علم الدلالة صـ١٧.

٣) انظر: مدخل إلىٰ علم الدلالة لفرانك بالمر صـ٣٦.

٤) التعريفات للجرجاني صـ٧٢.

٥) انظر حول هذا المفهوم: الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، ص٣٠٦، نظرية الدلالة صـ٥٥، ٦٨، وعلم الدلالة لأحمد مختار عمر، صـ٣٦-٣٧.

٦) انظر حول هذا المفهوم: نظرية الدلالة صـ٢٣.

اللفظي) والمراد به: **"اللفظ الواحد الدالُّ علىٰ معنيين مختلفين فأكثر، دلالةً علىٰ السواء عند أهل تلك اللغة"**[1].

ومفردة**"الصَّرف"** التي هي موضوع هذه الدراسة، تأتي في إطار هذا النوع من أنواع الدراسة اللغوية، من حيث هي مشترَك لفظيٌّ ثريّ الوظائف في علم الدلالة، وستشمل الدراسة صيغها ومشتقاتها، وما لها من دلالة معجمية، ونحوية، واستعمالاتها القرآنية، واصطلاحات علماء النحو المأخوذة من هذه المادة، ومعانيها العلمية وكيفيات توظيفها.

مجال الدراسة وحدودها:

المجال الذي هو ميدان هذه الدراسة ومدار رحاها هو: الدلالة والصرف والنحو، من حيث ورود هذه اللغوية ومعالجتها في علم الدلالة المعجمية، والصرفية، والنحوية نظريًّا، وتطبيقيًّا علىٰ ألفاظ القرآن الكريم، وكلام العرب نثرًا وشعرًا، ومصطلحات علماء اللغة والنحو، والمعالجات النحوية والصرفية لهذه المادة وفروعها في كتب النحو والتصريف.

مشكلة البحث:

قصور الفهم الحقيقي لدىٰ بعض الدارسين اللغويين، أو المنتمين للغة العربية لـمادة "صرف" من جهة مكانتها وأثرها في الدلالة اللغوية، والاصطلاحات النحوية، وخفاء العلاقة القائمة بين معناها الأصلي (المركزي) ومشتقاتها وامتداداتها الدلالية في النصوص العربية، وفي مجالَي التواصل التداولي والاصطلاح نجد تضييقًا لدلالتها لدىٰ هذه الفئة من الناس، أو المنتمين للغة العربية، بل كثيرًا ما نجد من يقصر مصطلحات:(الصرف ــ التصريف ــ التصرف

---

١) المزهر، ١/ ٣٦٩.وانظر التعريفات للجرجاني صـ٣٠٠.

ـــ الانصراف) علىٰ المستوىٰ الصرفي فقط من الدراسات النحوية، ويرفض أن تكون لها وظائف دلالات تركيبية، ونجد مثل هذا التضييق لهذه المفردة علىٰ مستوىٰ السياقات المختلفة!

فروض البحث:

تفترض هذه الدراسة أن مادة "صرف" ذات دلالة واسعة مؤثرة علىٰ المستويات السياقية التي ترد فيها في النصوص العربية بعامة، وعلىٰ المستوىٰ المعجمي، والمجالات النظرية في الدرس النحويّ، وأنها في القرآن الكريم استُعملت علىٰ نطاق واسعٍ قد يُـمَكِّن الباحث من الكشف عن كثير من عُمقها اللغوي في المجال الاستعمالي، كما تفترض الدراسة أن التوصل إلىٰ العلاقات الرابطة بين استعمالات كلمة "صرف" السياقية في القرآن الكريم، ودلالاتها المعجمية، سيؤدي إلىٰ إثراء الدلالة اللغوية والصرفية والنحوية، كما أن الوقوف علىٰ دلالاتها بشكل واسع سيقود إلىٰ توسع في دراسة مثيلاتها من المواد العربية علىٰ المستوىٰ التطبيق، وسيحاول البحث التحقق من هذه الفروض علميًّا إن شاء الله.

أهمية البحث:

تَضِحُ أهميةُ هذا البحث فيما يُسهم به من إثراء للدراسة الدلالية في اللغة العربية، والربط بين المستوىٰ المعجمي للمفردة اللغوية، والدراسة النظرية التركيبية، وفي تبيان أثر المعاني القرآنية لهذه المادة اللغوية في المستوىٰ الاستعمالي التطبيقي، والمجالات اللغوية التي تطورت فيها دلالاتها تعميمًا وتضييقا، وكذلك يُسهم البحث في الكشف عن أهمية الدراسة "المصطلحية" في الدراسات النحوية، فهذه المادة لها ورود متكرر واسع في الدراسات النحوية

علىٰ مستوىٰ المفردات والتراكيب، من حيث مواطن المصطلحات التي اشْتُقت منها،ولقد استعملتْ لدىٰ علماء النحو بدقة عالية في كثير من المواطن، وبتجوُّز في بعضها، وستبرز قيمة البحث أيضا في استيضاح أثر المزج بين الدلالات المشتركة في الاستعمال العلمي، والكشف عن أهمية معرفة دلالة اللفظ الجذرية في تحديد إطلاقاته في الدراسات اللغوية العلمية.

هدف البحث ومصادره:

فحص حقيقة دلالة مادة "صرف" في اللغة العربية، والكشف عن مدىٰ تطورها الدلالي علىٰ المستوىٰ الاستعمالي والنظري، والإسهام في إثراء الجانب الدلالي من جوانب الدراسات النحوية، والربط بين المعاني اللغوية والاستعمال القرآني لهذه المفردة، والتدليل علىٰ المدّ القويّ للغة العربية بالقرآن الكريم، باستنباط مكامنها الحيوية الدلالية التي نجدها للمفردات في الاستعمال القرآني، وبكيفية توظيف المفردات للأغراض السياقية، وتهدف الدراسة إلىٰ توضيح قيمة المصطلحات النحوية المشتقة من هذه المادة، وإبراز دلالاتها علىٰ مستوىٰ المفردات ومستوىٰ التراكيب، وإيضاح أثر ذلك في تعلُّم النحوِ العربيّ وقواعدِه، وتهدف الدراسة أيضا إلىٰ إزاحة الفهم الخاطئ في قصر هذه المصطلحات علىٰ جانب "علم الصرف" دون النحو.

ولأجل التأصيل اللغوي والعلمي لهذه الأمور كلها ركزتُ في دراستي علىٰ: القرآن الكريم، والمعاجم اللغوية الأصيلة، وأقوال علماء اللغة الأوائل من المعجميين والنحويين، والمؤلفات التي هي مصادر الدراسات العربية اللغوية، مثل: علماء القرون الهجرية الثاني والثالث والرابع، ومؤلفاتهم.

منهج البحث:

مَنهجٌ مُزجَ فيه الاستقراء بالوصف، والاستدلال بالإحصاء ثم الاستنتاج، والتأصيل العلمي علىٰ المستويين النظري والتطبيقي، مع محاولة الإيجاز دون إخلال، والاكتفاء بالأهم من الأمثلة والنقول، مع التفصيل في بعض المواطن لأجل الحاجة، زيادة في البيان، وإيفاءً بالهدف من الدراسة، وسيعتمد البحث القرآن الكريم والواقع اللغوي، والنصوص اللغوية، وأقوال العلماء، ميدانًا للتمثيل والمقارنة والدراسة، واستنباط الدلالات والأحكام.

أسئلة البحث:

سيجيب البحث عن جمع من الأسئلة، من أهمها:

ما طبيعة الدلالة اللغوية لمادة"صرف" علىٰ المستوىٰ المعجمي، والنحوي، والسياقات الاستعمالية؟ وما الجذر الأصلي لهذه الدلالة؟ وكيف نثبت أثرها اللغوي علىٰ المستوىٰ النحوي بمفهومه الشامل؟ وهل توسَّعت دلالتها فامتدت وتطوَّرت قليلا أو كثيرًا؟ وما علاقة دلالتها الجذرية باستعمالاتها السياقية في القرآن الكريم؟ وهل أسهم القرآن الكريم في توسيع دلالتها؟ وكيف يمكن الربط بين دلالاتها في القرآن الكريم مع تباين سياقاتها ومقاصدها فيه؟ ومن المصطلحات الشائعة في الدراسات النحوية: مصطلحات مشتقة من مادة "صرف" فما طبيعة تلك المصطلحات؟ وما دلالاتها العلمية الدقيقة علىٰ المستوىٰ النظري والتطبيقي؟ وكيف ترتبط بالدلالة اللغوية الجذرية لهذه المادة؟

هيكل البحث:

يتكون البحث من مقدمة محتوية لطبيعة موضوعه، وخطته وعناصره، ثم ثلاثة مباحث رئيسة:

الأول: بيان التأصيل المعجمي لدلالة مادة "صرف" ومعانيها الاستعمالية المشتركة عند العرب، والمعاني المجازية التي توسعت إليها.

والثاني: إحصاء للصيغ والمشتقات الواردة في القرآن الكريم من هذه المادة، ودراسة دلالات سياقاتها بالتفصيل.

والثالث: المصطلحات العلمية المشتقة من هذه المادة في الدراسات النحوية، وإيضاح مفصل لعلاقة كل مصطلح بالدلالة الجذرية للمادة، والربط بين استعمالاتها النظرية والتطبيقية لدىٰ علماء النحو، وأثر ذلك في الأحكام الصرفية والنحوية.

وتخلل هذه المباحث الثلاثة الرئيسة تفريعات متصلة بكل واحدٍ، اقتضتها الدراسة لأجل الاستقصاء العلمي لما ترتبط به دلالة المادة اللغوية، وسيقف البحث علىٰ موقف الدراسات الحديثة، وتناول اللغة العربية المعاصرة لهذه المادة، في المجال العلمي والتواصلي بما يوضحه في كل شيء مما تقدم، ثم الخاتمة والنتائج فثَبَت لمراجع البحث.

الدراسات السابقة

وقفت علىٰ موضوعات متنوعة ومتعددة، يتناول بعضها معنىٰ كلمة "صرف" لغة واصطلاحًا، وبعضها كُتِبَ في التفريق بين "التصريف"و "الاشتقاق" وبعضها في مفهوم "الصرف" عند المتقدمين والمتأخرين، وبعضها في موضوعات علم الصرف ومباحثه. ولم أقف ــ حسب اطلاعي ــ علىٰ دراسة

متخصصة تتقاطع مع دراستي تقاطعًا مؤثرًا ولا مغنيًا عنها، وعامة ماوقفت عليه إما مقدمات لكتب في الصرف، أو مقالات موجزة، أو دروس في التعريف بمصطلح "الصرف" وتتصف جميعا بالإيجاز، والاقتصار علىٰ بعض الجوانب، والاكتفاء بالنقل ــ غالبًا ــ وقلة التطبيق علىٰ النصوص اللغوية.

وألصق دراسة بموضوعي وقفت عليها، بحث منشور بعنوان: "علم الصرف نشأته وتطوره" قدمه: ولدان نافع[1]

عرّف فيه الباحث بمصطلح "الصرف" ونقل بعض ما قيل فيه قديمًا وحديثا، ثم عرض لمراحل تطور الدراسات الصرفية في تاريخ التأليف العربي، وناقش هذه المراحل وأورد أهم المؤلفات فيها، وناقش بعض الآراء، ولكن غلب عليه أسلوب التعميم لبعض الآراء المنفردة، كما أنه لم يهتم بالجانب التطبيقي، ولم يُعْن بدلالة لفظة "صرف" ومشتقاتها إلا لِمامًا، وهذا يدلك علىٰ الفرق الكبير بين بحثه ودراستي.

1) Wildan Nafi'i Sekolah Tinggi Agama Islam Nahdlatul Ulama (STAINU) Madiun Email: nafiiwildan@gmail.com

مُكَوِّنات الدراسة

أوَّلًا: التأصيل الْمُعْجَمِيّ

المراد بالتأصيل المعجميِّ حصْرُ الدلالات الأصلية وما تفرّع عنها وإحصاؤها من المعاجم اللغوية، فالمعنىٰ المعجمي الأصلي للمادة اللغوية هو الْمُنْطلق الأساس لمعرفة دلالاتها الاستعمالية، حقيقة ومجازًا، وإليه يُرْجع في تفسيرها حسَب السياقات التي تُستعمَل فيها، ومعرفة حقيقة المعاني التي اصْطُلح بها عليها، ومِن ثَمَّ كان التمهيد بالتأصيل المعجميِّ أنسبَ وأَوْفقَ للتسلسل المنطقي لمفردات الدراسة.

الدلالات المحورية لمادة "صَرف" ــ بفتح الصاد ــ تدور علىٰ معانٍ شديدةِ التقارب، وهي: الرَّجْعُ والرّد، والقلْبُ والتحوُّل، والتغيُّر والتبدُّل والتنَوّع، والفضْل والتطوّع، والاحتيال والتكلف، ونجد أنَّ أغلب استعمالاتها ترجع إلىٰ هذه المعاني من قريب أو بعيد، وهذا يجعلها من قبيل المشترك اللفظي، وجميع معانيها تتصل بالمعنىٰ المركزي(الجذري) لها، الذي يُعدُّ محورًا لها كلها، **وهو الدلالة علىٰ ترْك الشيء أو مغادرته، بأي وسيلة أو كيفية**، وسيتبين لك ذلك في النقول الآتية عن أئمة اللغة.

قال الخليل (١٧٥ه): " الصَّرْفُ: أنْ تَصْرِف إنسانًا علىٰ وجهٍ يريده إلىٰ مَصْرِفٍ غيرِ ذلك"[1] فهذا بمعنىٰ قَلْب الشيء وتحويله إلىٰ وجهة أخرىٰ، أيْ ردّه عن وجهته إلىٰ غيرها، تقول: صَرَفتُه صَرْفًا فانْصَرَف[2]، فقوله: "أنْ تصرِفَ إنسانًا"

---

١) العين ٧/ ١٠. ونقله عنه الأزهري في تهذيب اللغة ١٢/ ١٦٢. ولكنه قدْ ضُبِطَ فيه بفتح الراء"الصرَف" ويبدو أنه تصحيف؛ لمخالفته لسائر الأصول.

٢) انظر: المحكم لابن سيده ٨/ ٣٠١.

معناه أن تَقلِبَه فتغيرَ وجهته، وهذا هو الرد والرَّجْع، وهو يقتضي التبديل والتغيير والتحويل إلىٰ حال أخرىٰ أو جهة أخرىٰ.

قال: "وصَيْرَفِيَّاتُ الأمور: مُتَصَرِّفاتُها، أيْ تتقلَّبُ بالناس"[1] يريد الأحوال التي يحدثُ فيها تقلُّبُ أمورِ الناس وتنوّعُها، وذلك يكون بانصرافها من حالٍ إلىٰ أخرىٰ، من نحو الشدة والرخاء، والخِصْب والجدْب، والتفرُّق والاجتماع، والحرب والسِّلم، وأمثال ذلك.

ثم قال الخليل رحمه الله: "وصَرْفُ الدهر: حَدَثُه"[2] أي ما يحدث فيه من التقلبات وتحوُّلات الأمور، ولذلك سُميت نوائب الدهر ومصائبه بحدثان[3] الدهر وصَرْفه، والمراد أنها تحدث فيه[4].

وعلىٰ هذا الذي ذكره الخليل تتابعتْ كلماتُ المعْجمِيِّين واللغويِّينَ، في إيراد دلالات هذه المادة، بعبارة الخليل نفسها، أوما يرادفها أو يقاربها من المعاني الفرعية.

قال ابن فارس(٣٩٥هـ): "الصاد والراء والفاء معظم بابه يدل علىٰ رَجْع الشيءِ، من ذلك: صَرَفْتُ القوم صَرْفًا فانصَرَفوا، إذا رَجَعْتَهم فرَجَعوا"[5]

---

١) العين ٧/ ١٠٩

٢) العين ٧/ ١٠٩.

٣) "حدثان" بكسر الحاء وسكون الدال، أو بفتحهما، ضبطت الكلمة بالوجهين، كما في القاموس المحيط ولسان العرب(مادة: حدث).

٤) انظر: ديوان الأدب للفارابي ١/ ٦٣-٦٤ والصحاح(صرف) ولسان العرب(صرف) .

٥) مقاييس اللغة، مادة "صرف" صـ٥٦٦.

وقال الراغب الأصفهاني(٤٢٥ه): "الصرْفُ ردّ الشيء من حالة إلىٰ حالة، أو إبدالُه بغيره، يُقال: صَرَفتُه فانصَرَف"[١] ثم

استشهد لهذا المعنىٰ بقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾[٢]

وبقول الله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾[٣] و المراد هنا الاستشهاد بهذه الآيات علىٰ هذا المعنىٰ المعجمي، وسيأتي بعدُ إن شاء الله مناقشة المقاصد الدلالية لهذه الألفاظ في سياقاتها القرآنية جميعها.

وقال ابن سِيدَهْ(٤٥٨هـ):"والصَّرْفُ: حِدْثانُ الدهر، اسم له؛ لأنه يَصْرِف الأشياء عن وجوهها"[٤] واستشهد بقول الشاعر:

عاوَدَنِي حُبُّهَا وقَدْ شَحَطَتْ صَرْفُ نَواهَا فإنَّني كَمِدُ[٥]

يقول: رجع إليَّ حبُّها بتذكُّرِها بعد ما ابتعد بها حَدَثُ الدهر، وما استجدَّ من تقلبات أحواله، حيث انتوتْ بعيدًا، فإنني شديد الحزن لذلك.

---

١) مفردات ألفاظ القرآن، مادة(صرف) صـ٤٨٢.

٢) سورة آل عمران: ١٥٢.

٣) سورة التوبة: ١٢٧.

٤) المحكم ٨/ ٣٠٢، وانظر: لسان العرب، مادة(صرف)

٥) البيت من المنسرح لصخر الغي الهذلي، انظر شرح أشعار الهذليين للسكري ١/ ٢٥٤، وشحطت: بَعُدَتْ. ونَواها: نيتها حيث توجّهت من البُعْد، ولذلك قيل للبعد والفراق: النَّوَىٰ. والكَمَد: الحُزن الشديد. قال ابن سيده : "أَنَّث الصَّرْفَ لتعليقه بالنوىٰ" [المحكم٨/ ٣٠٢] يريد أن قول الشاعر: "شحطتْ" بإلحاق التأنيث بالفعل سببه أن الفاعل الذي هو "صَرْفُ" قد أُضيف إلىٰ مؤنث، وهو: النوىٰ، فاكتسب التأنيث منه.

وقال ابن القطاع الصقلي(٥١٥ه): "صَرَفَ الشيءَ صَرْفًا: ردَّه، والرجل عن رأيه كذلك"[١] قوله: "والرجل عن رأيه.." أيْ: وصَرَف الرجل عن رأيه كذلك معناه: ردَّه عنه.

فهذا كلُّه تبيانٌ للمعنىٰ الذي ذكره الخليل وهو القلْب والرّد والتحويل من وجه إلىٰ آخر.

وعن يونس بن حبيب(١٨٢ه): " الصَّرْفُ: الحِيلَةُ"[٢] كأنه يريد التحيّل للشيء أو فيه، ابتغاء ردِّه إلىٰ جهةٍ أخرىٰ، كما قال ابن دريد(٣٢١ه): "الصَّرْفُ: الاحتيالُ والتكلف"[٣] وهذا يتصل بالمعنىٰ الأول عن طريق كون الاحتيال يراد به النظر في تحويل الشيء عن وجهته وقلْبِه إلىٰ حالٍ أخرَىٰ، ولا يأتي هذا إلا بمزيد من التعمل والتكلف في النظر وإعمال الفكر، قال الأزهري(٣٧٠ه): "ومنه قيل: فلانٌ يتصرَّفُ، أيْ يحتال"[٤] ومِن ثَمَّ سُمِّيَ الذي يتصرَّف في الأمور فيتطلَّب لكلٍّ منها وجهًا: صَيْرَفِيًّا وصَيْرَفًا؛ لأنه يحتال لها ويجدّ في التصرُّف فيها[٥]، ثم قال الأزهري: " وأخبرني المنذريُّ عن أبي الهَيْثم أنه قال: الصَّيْرَفُ

---

١) كتاب الأفعال ص٢٨٩(صرف).

٢) تهذيب اللغة ١٢/ ١٦١، وصحاح الجوهري (صرف)

٣) جمهرة اللغة ٣/ ١٢٨٨.

٤) تهذيب اللغة ١٢/ ١٦١.

٥) انظر: جمهرة اللغة٢/ ٧٤١، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٦١، والكليات صـ٤٧٢.

والصَّيْرَفيُّ: المحتالُ المتَقَلِّبُ في أموره الْمُجَرِّبُ لها"[1] وأنشدوا علىٰ هذا المعنىٰ قول الشاعر:

قَدْ كُنتُ خَرَّاجًا وَلُوجًا صَيْرَفًا لَمْ تَلْتَحِصْنِي حَيْصَ بَيْصَ لَحَاصِ[2]

يقول: إنني رجل مُجرّب للأمور، أُحسِنُ الدخولَ والخروج منها، من غير أن تضيق عليّ فأتورّط فيها، ولذلك سَمَّىٰ نفسه:"صَيْرَفًا" أيْ حَسَن التصرُّف والتقلب في الأمور.

ومما يشهد لهذا المعنىٰ في القرآن الكريم قول الله تعالىٰ: ﴿**فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا**﴾ [3] يصفهم الله تعالىٰ بأنهم لا يقدرون علىٰ التصرف في شيء، فلا يقدرون أن يُحَوِّلوا العذاب عن أنفسهم، ولا أن يغيِّروا حالهم إلىٰ حالٍ أخرىٰ كما يريدون، فلا حيلة لهم في شيء[4].

---

١) تهذيب اللغة، الموضع السابق.

٢) البيت من الكامل لأمية بن أبي عائذ الهُذَلي، انظر شرح أشعار الهُذليين للسكري٢/ ٤٩١، وجمهرة اللغة٢/ ٧٤١، والمحكم ٨/ ٣٠٣.والخرّاج والْوَلاَّج: كثير الخروج والوُلوج وهو الدخول. واللَّحاص: الضِّيق والشدة، ومنه قوله"لم تلتحصني" أي لم تَضِق علي الأمور وتضطرني فأنشب فيها، يقال: لَحَصَ في الأمر، إذا نَشبَ فيه، و"لَحَاصِ" فَعالِ منه، مثل حَذَامِ وقَطامِ، وهي فاعل"تلتحصني" مبني في محل رفع. و"حَيْصَ بَيْصَ" كلمتان رُكِّبَتَا تركيبَ "خمسةَ عَشرَ" للدلالة علىٰ شدة ضيق الأمور وتداخلها لعدم وضوحها.(انظر الموضعين السابقين شرح أشعار الهذليين، ومن الجمهرة) .

٣) سورة الفرقان: ١٩.

٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن صـ٤٨٢، وتهذيب اللغة، الموضع السابق.

ومن هذا المعنىٰ قولهم: **صَرَف لأهله، واصطرف لهم**، إذا سعىٰ لهم، بمعنىٰ كَسَب وطلبَ واحتالَ[1]؛ لأن هذا كله من التصرُّف بالتقلّب والاحتيال لأجل الكسب.

التوسع في دلالتها واستعمالاتُها المجازية

وقد توسَّعَتْ العَرب في دلالة هذه الكلمة، فاستعملتها وما اشتُقَّ منها لِمعانٍ ترجع إلىٰ الأصل المتقدم مباشرة، وأحيانًا إلىٰ ما يُلابسه بطريقة غير مباشرة، وهذا من مرونة العربية وقوتها في الاشتقاق، ومن أشهر ذلك غير ما تقدم ما يلي:

١. **تسمية التوبة صَرْفًا**[2]؛ لأن التائب يَرْجِع عن معصيته، ويدخل مع أهل الطاعة، وعليه فسَّرَ بعضهم الحديث: "الْمَدِينَةُ حَرَمٌ مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَىٰ مُحْدِثًا، أَوْ تَوَلَّىٰ غَيْرَ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ **صَرْفًا**، وَلَا عَدْلًا "[3] فقيل: الصَّرْف: التوبة، وقيل النافلة والتطوع، وقيل الاكتساب، وقيل الحيلة، والعدل الفريضة أو الفدية[4] وقيل غير ذلك[5]، ولكن جميع ما فُسِّر به الحديث لايخرج عن معنىٰ

---

١) انظر: تهذيب اللغة ١٢/ ١٦١، والْمُحْكم ٨/ ٣٠٣، والصحاح(صرف).

٢) انظر: ديوان الأدب ١/ ٦٣، ومقاييس اللغة صـ٥٦٦ ، وكتاب الأفعال لابن القطاع ص٢٩٠(صرف).

٣) هذا طرف من حديث أخرجه البخاري في صحيحه٩/ ٩٧ (باب ما يكره من التعمق في الدين) ومسلم في صحيحه ٢/ ٩٩٤(باب فضل المدينة) والإمام أحمد في المسند ١٥/ ٥٠١

٤) انظر: العين ٧/ ١١٠، والزاهر ١/ ٣٢٨، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٦١، والإبانة في اللغة العربية ٣/ ٣٥٠، والنهاية(صرف) وكتاب الأفعال لابن القطاع ص٢٩٠(صرف).

٥) انظر جمهرة اللغة ٢/ ٧٤٠-٧٤١.والْمُحكم ٨/ ٣٠٣.

الرجوع عن الشيء إلىٰ غيره، وهو نوع من التحول من حال إلىٰ أخرىٰ.

٢. **الصَّرْف بمعنى الفَضْل**، قال الأزهري: "الصَّرْفُ الفَضْلُ، يُقال: لهذا صَرْفٌ علىٰ هذا، أيْ فضل"[١] ومنه صَرْفُ الدراهم، وهو فضل بعضها علىٰ بعض في القيمة والجودة[٢]، قال ابن فارس رحمه الله مُعلقًا علىٰ هذا المعنىٰ: "ومعنىٰ الصرْفِ عندنا أنه شيءٌ صُرِفَ إلىٰ شيءٍ، كأن الدينار صُرِفَ إلىٰ الدراهم، أي رُجِعَ إليها، إذا أخذتَ بَدَلَه"[٣] ولذلك يسمون بيع الذهب بالفضةِ صَرْفًا، لأن فيه انْصرافَ جَوْهَرٍ إلىٰ آخَر، أو انصراف قيمةٍ إلىٰ أُخْرَىٰ[٤]، وكل هذا من التقلب والرد والتحوُّل، ولكن بتوسُّع في الاستعمال.

٣. **تسمية مَن يتولَّى نَقْدَ الدراهم وصَرْفَها: صَيْرَفًا وصَيْرَفِيًّا وَصَرَّافًا**[٥]، وهذا مشتق من الذي قبله، لأنه يتعلق بمن يعرف فضل أحدهما علىٰ الآخر، كأنهم يريدون مَن كانت هذه حِرْفتَه وعملَه؛ لأنه يُصرِّف بعضَها إلىٰ بعض من حيث الوزن والقيمة، ويميز جَيِّدَها عن رديئها، فكل هذا نوع من التقلب والتحيُّل فيها بوزانها ونقلها من حالٍ إلىٰ حالٍ، ومن شواهده قول الفرزدق:

---

١) تهذيب اللغة ١٢/ ١٦٢.

٢) العين ٧/ ١٠٩، وانظر:ديوان الأدب للفارابي ١/ ٦٤،ومقاييس اللغة ص٥٦٦،وطلبة الطلبة صـ٢٤٣، والكليات صـ٤٧٢

٣) مقاييس اللغة صـ٤٧٢

٤) انظر لسان العرب ٩/ ١٩٠(صرف).

٥) انظر الْمُحْكَم ٨/ ٣٠٢، والحاشيتين السابقتين في المواضع نفسها.

تَنْفِي يَدَاهَا الْحَصَا فِي كُلِّ هاجِرَةٍ نَفْيَ الدَّراهِمِ تَنْقادُ الصَّيارِيفِ[1]

قوله:"الصياريف" جمع صَيْرَف، وأصله : صيارِف، كطوابِق ودَراهم، ولكنه أشبع كسرة الراء فزاد ياءً للوزن، وهو من "صَرَفَ" المتقدم.

٤. **صَرْفُ الكلامِ، بمعنى تزيينِه وتحسِينِه**؛ سُمِّي بذلك لأنه يَصْرِف مستمعيه إليه، ويستميلهم كأنه يقلبهم ويَرْجِعُهم عن الاستماع لغيره إلىٰ الإعجاب به، وقال ابن فارس: "إنما سُمِّيَ بذلك لأنه يتصرَّف بالناس، أيْ يَقلِبُهم ويرُدُّهم"[2] وهذا لا يختلف عما قبله إلا بشيء من التوسع في الاستعمال، وهو ما أشرتُ إليه قبْلًا، فإن الزيادة في الحديث بما يُزَيِّنُه ويجعل مستمعيه يُعجَبون به، تُعدُّ فَضْلا فيه وتَحَيُّلًا أيضًا، ومما يَشهد له الأثَرُ المروي عن أبي إِدْرِيس الْخَوْلانِيّ[3] أَنه قَالَ: (**من طلب صَرْفَ الحَدِيث يَبْتَغِي بِهِ إقبالَ وجوهِ النَّاس إِلَيْهِ لم يُرَح رائحةَ الجَنَّة**)[4] قال الأزهري : "قَالَ أَبُو عُبَيْد: صَرْفُ الحَدِيث

---

١) البيت من البسيط، ورد منسوبًا له في سيبويه ١/ ٢٨، والكامل للمبرد ١/ ٣٢٩ والمقتضب ٢/ ٢٥٦.وهو يصف قوة ناقته وسرعتها بأنها في عَدوِها في وقت الهاجرة وهو وقت اشتداد الحرِّ، تطأ الحصا بقوة مناسمها وأخفافها فتبعثر الحصا، كما يفعل صرَّاف الدارهم حين يختبرها لتمييز جيِّدها عن رديئها.

٢) مقاييس اللغة صـ٥٦٦.

٣) هو عائذ ين عبد الله بن عمرو أبو إدريس الخَوْلاني الدمشقي، تابعي فقيه، من علماء أهل الشام وعُبّادهم وقرّائهم، توفي سنة ٨٠هـ(تهذيب الكمال للمزي ١٤/ ٩٢،٨٨)

٤) هكذا رواه أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي(٢٢٤ه) بسنده مرسلا عن أبي إدريس الخولاني، في غريب الحديث ٢/ ٣٧٦، وعنه الأزهري في تهذيب اللغة ١٢/ ١٦١، وابن الأثير في النهاية ٥/ ٢٣١٢(صرف) نقلا عن أبي عبيد أحمد بن محمد(٤٠١ه) صاحب الغريبين، وعزاه المحقق إلىٰ ٤/ ١٠٧٣ من الغريبين، ثم قال ابن الأثير: " والحديث مرفوع من رواية أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلىٰ الله عليه وسلم في سنن أبي داود". وستأتي هذه الرواية.

أَن يزِيد فِيهِ لِيُمِيلَ قلوبَ النَّاس إِلَيْهِ، أُخِذَ من صَرْفِ الدّراهم"[1] قال ابن الأثير:" أراد بصرف الحديث ما يتكلفه الإنسان من الزيادة فيه علىٰ قدر المحاجة، وإنما كَرِه ذلك لِما يدخله من الرياء والتصنُّع، ولِما يخالطه من الكذب والتزيّد"[2]، وهذا تصدقه الرواية التي عند أبي داود في سننه عن الضحاك بن شرحبيل عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم: (**مَنْ تَعَلَّمَ صَرْفَ الكلامِ لِيَسْبِيَ بِهِ قلوبَ الرجالِ، أو الناسِ، لم يَقْبَل الله منهُ يوم القيامةِ صَرْفًا ولا عَدْلًا**)[3]

قال الإمام الخطابي(٣٨٨ه) رحمه الله موَضِّحًا له: "صَرْفُ الكلام فضلُه وما يتكلفه الإنسان من الزيادة فيه من وراء الحاجة، ومن هذا سُمِّي الفضل بين النقْدَيْنِ صَرْفًا"[4]

فقد حمل هذا الاستعمال معنيين هما التصرف في الكلام بشيء من التكلف فيه وتزيينه، وهذا يتبعه المعنىٰ الآخر وهو استمالة قلوب الناس بذلك وقَلْبُها إلىٰ المتكلم، بتنميق الأسلوب وتحسينه، وفي الأمرين معًا القلْبُ والرَّدّ والفضل والزيادة والتحيُّل، ولكن بشيء من التوسع والتنويع في الاستعمال.

٥. **تسمية اللبن ساعةَ يُحْلَبُ صَرِيفًا**[5]، وذلك إذا صُرِف به عن الضرْعِ وسَكَنَتْ رغوتُه[6]، وذكرَ الأزهري عن الأصمعي أنه إذا سكنت رغوته فهو

---

١) تهذيب اللغة ١٢/ ١٦١-١٦٢، وهو مقارب لما في غريب أبي عبيد ٢/ ٣٧٦.

٢) النهاية ٥/ ٢٣١٢(صرف).

٣) سنن أبي داود ٥/ ٢٧٤-٢٧٥، الحديث(٥٠٠٦) باب "ماجاء في المتشدق في الكلام"

٤) معالم السنن ٤/ ١٢٦

٥) العين ٧/ ١١٠، وغريب الحديث للخطابي١/ ٢٠٩، والنهاية ٥/ ٢٣١٤(صرف)

٦) انظر: العين ٧/ ١١٠، جمهرة اللغة٢/ ٧٤١، والْمُحْكَم ٨/ ٣٠٢

الصريح[1] وهذا أوجه؛ لأنه إذا صفا من الرغوة صَرُحَ وصارَ محضًا صافيًا، ومن شواهده قول الراجز:

لكِنْ غذاها اللَّبَنُ الْخَرِيفُ الْمَحْضُ والقارِصُ والصَّرِيفُ[2]

قال البطليوسي(٥٢١هـ) في شرحه له:"الصريف: اللَّبَنُ حين يُنْصَرَفُ به عن الضرع حارًّا"[3]

وأوَّلَه الراغبُ الأصفهاني بأنه سُمِّي بذلك لانصراف الرغوة عنه، أو لانصرافه عن الرغوة[4] فقد أرجعه إلىٰ الانصراف الذي هو الرجوع والانقلاب، وهو المعنىٰ الجذري للمادة، وكأنهم عبَّروا عنه بذلك لغرض الدلالة علىٰ جِدَّته وجودته.

٦. **تسمية الصوت صَرِيفًا**، وأكثر ما يستعملونه في أصوات الأنياب والآلات، كالأقلام والبكْرَة والأبواب ونحو ذلك[5]، ولعل ذلك لكون أصواتها

---

١) تهذيب اللغة ١٢/ ١٦٢.

٢) الرجز لسلمة بن الأكوع رضي الله عنه كما في أدب الكاتب بشرح البطليوسي٢/ ٧٧٤، وانظر: جمهرة اللغة ٢/ ٧٤١واللبن المحض أو المخض هو الصافي الذي لم يخالطه الماء. والقارص هو الحامض. وقوله: اللبن الخريف يعني به : لَبَنَ الخريفِ، وصرّح بذلك في بعض الروايات علىٰ الإقواء.

٣) الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب ٢/ ٧٧٤(كذا هو في هذه النشرة بلفظ"الكُتَّاب" جمع كاتب).

٤) انظر مفردات ألفاظ القرآن صـ٤٨٢-٤٣٨.

٥) انظر: العين ٧/ ١١٠، وجمهرة اللغة٢/ ٧٤١، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٦٢ومقاييس اللغة صـ٥٦٧.

تحصل بترداد وترجيع، ومن شواهده مارُوي عن الرسول صلىٰ الله عليه وسلم في خبر معراجه أنه قال: «**ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّىٰ ظَهَرْتُ لِمُسْتَوَىٰ أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ**»[1]

قال الحافظ أبو موسىٰ الأصفهاني(٥٨١ه) رحمه الله: "**صريف الأقلام**: أي صوت جَرَيانِها بما تكتبه الملائكة من أقضية الله عزّ وجلّ، وما ينتسخونه من اللوح المحفوظ، أومما شاء الله عز وجل أن يكتب من ذلك ويُرفع لِما أرادَ مِن أمْرِه وتدبيره في خَلقه"[2]، قال: "والصريفُ أيضًا صوْتٌ يُسمع من وقْع الأسنان بعْضِها علىٰ بعض، يُقال صَرَفَ البعيرُ نابَه صَريفًا"[3] وقال الجوهري: "وصَريفُ البَكْرَةِ: صوتُها عند الاستقاء، وقد صَرَفتْ تَصْرِف صَرِيفًا، وكذلك صَرِيفُ البابِ، وصَرِفُ نابِ البعير"[4].

ومن شواهده قول النابغة الذبياني يصفه ناقته:

فَعَدِّ عَمَّا تَرَىٰ إِذْ لا ارْتِجاعَ لَهُ وانْمِ القُتُودَ علىٰ عَيْرَانَةٍ أُجُـــــــدِ

مقْذوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ بازِلُها لَهُ صَرِيفٌ صَرِيفُ القَعْوِ بِالْمَسَدِ[5]

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٧٨(باب كيف فُرضت الصلاة في الإسراء) ومسلم في صحيحه ١/ ١٤٨(باب الإسراء برسول الله صلىٰ الله عليه وسلم)

٢) المجموع المغيث ٢/ ٢٦٦-٢٦٧، وانظر ا لفائق للزمخشري ٢/ ٢٩٥، فقد ذكر المعنىٰ نفسه في خبر آخر.

٣) السابق نفسه.

٤) الصحاح ٤/ ١٣٨٥(صرف)

٥) بيت من البسيط، من معلقة النابغة التي مطلعها:

فشبَّه صَوْتَ أسنانِ ناقته إذا اجتَرَّتْ فحَكَّ بَعضُها بعْضًا، بصوتِ البَكْرة يحرِّكها الحبلُ فتدور حول محورها بالصرير.

وذكر بعض الشراح نقلا عن الأصمعي وغيره أن هذا الصوت يصدر من الناقة عند كَلالها وفتورها، ولذلك عَقَّبَ ابن منظور علىٰ بيت النابغة بقوله: "هو وصْفٌ لها بالكلال"[1] يعني الناقة، ولكن ابن دريد رحمه الله قال: "وصَرِيفُ الناقةِ إعياءٌ، وربما كانَ أيْنًا، وربما كان نشاطًا"[2] فذكر أنه قد يكون دليلا علىٰ النشاط، وهذا هو الأوفق ببيت النابغة؛ لأنه يصف ناقته بالنشاط والقوة، حتىٰ إن بازلها إذا صكَّتْ به آخر كان له صوتٌ قوي كصوت البكرة في القعوِ، ولذلك قال أبو جعفر النحاس(٣٣٨ه) : "ولا يكون الصريف في بيت النابغة إلا من النشاط والفرح"[3] فهذا هو الأليق بتفسيره، والسياق يقيد مطلق معاني الألفاظ.

٧. **تسمية اشتقاق شيء من شيءٍ تَصْرِيفًا**[4]، والسبب في هذا أنه إذا أُريدَ التكثيرُ من الفعل الأصلي الذي هو"صَرَف"ـــ هنا ــ ضُعِّفَتْ عَينُه فَبُنِيَ منه

يا دار ميةَ بالعلياء فالسَّنَدِ أقْوَتْ وطالَ عليها سالِفُ الأبَدِ

(انظر ديوان النابغة الذبياني صـ٥-٦) وقوله: فعَدِّ: انْصَرِفْ. وانْمِ: ارْفَعْ. القُتُود: عِيدَانِ الرَّحْل. العَيْرانة: المراد بها الناقة، يُشبّهُها بالْعَيْرِ في قوتها. أُجُد: مؤثَّقَة الْخَلْق. مقذوفة: مَرْمِيَّة باللحم. دَخيس: مُكَثَّفٌ متداخل. النَّحْض: اللحم. بازِلُها: سِنُّها الكبير. القَعْو: الخشبتان اللتان تضمان البكرة، والمراد هنا البَكْرَة نفسها. الْمَسَد: الْحَبْل مِن لِيف.

١) لسان العرب ٩/ ١٩١(صرف)

٢) جمهرة اللغة ٢/ ٧٤١.

٣) شرح القصائد المشهورات ص١٦١.

٤) انظر: العين ٧/ ١٠٩

"فَعَّل" ومصدره "التفعيل" ثم يُطْلَق علىٰ ما جاء من تكثير فِعْلِه، كاشتقاق الشيء من الشيء، فيقال هذا تصريفٌ، كأنه تكثير من الصَّرْفِ، لأنه حصل بالتقليب والترجيع والتحويل، ونحو ذلك مما تقدم من المعاني الأصلية لهذه المادة، ولذلك يُطلَق "التصريف" مُرادًا به التنويعُ والكثرة والرَّجْع مرّاتٍ متعددة، قال ابن سيده: "وصَرَّفَ الشيءَ: أعْمَلَه في غيرِ وجهٍ، كأنه يَصْرِفه عن وجهٍ إلىٰ وجهٍ"[1] ومنه تصريف الآيات ببيانها وتنويعها ، وتصريف الرياح، وتصريف السيول، وتصريف الكلمات، وتصريف الدراهم بإنفاقها ونقدها، ونحو ذلك مما يدل علىٰ تحويل الشيء وصَرْفِه من حالٍ إلىٰ أخرىٰ[2].

قال الخليل رحمه الله: "ولو حكىٰ صوته وقال: قرَّ، ومَدَّ الراء لكان تصريفه: قَرَّ يَقِرُّ قَريراً، كما يقال: صَرَّ يصِرُّ صَريراً، وإذا خفف وأظهر الحرفين جميعًا، تحول الصوت من المد إلىٰ الترجيع فضوعف لأن **الترجيع يضاعف كله في تصريف الفعل إذا رجع الصائت**، قالوا: صَرْصَرَ وصَلْصَلَ، علىٰ توهم المد في حال، والترجيع في حالٍ"[3]

تضمَّن كلام الخليل هنا تقريرًا لهذا المعنىٰ ببيانه معنىٰ "التصريف" تمثيلًا، ثم ذكْره للأصل الذي نشأ منه وهو تضعيف عين الفعل، ثم بيَّن دلالة التضعيف وسببه وهو ترجيع الصوت وترديده وتكثيره، ثم ذكر أن ذلك يُفضي إلىٰ التنويع

---

١) الْمُحْكم ٨/ ٣٠٢.

٢) انظر: تهذيب اللغة ١٢/ ١٦٢ ومقاييس اللغة صـ٥٦٦، والمحكم ٨/ ٣٠٢ ، وأساس البلاغة١/ ٥٤٥(صرف).

٣) العين ٥/ ٢٣

بانتقال الصوت من حالٍ إلىٰ أخرىٰ، وهذا البيان اللغوي هو منشأ ما استُعملت له هذه المفردة في الدراسات النحوية بعامة، كما سيتبين بعدُ إن شاء الله.

وفي العصر الحديث توسَّعَتْ دلالة هذه الكلمة من جهة الاستعمال، فامتدتْ إلىٰ معانِيَ مجازيةٍ مرتبطة ارتباطًا لغويًّا متأصِّلًا بالمعنىٰ المركزي لـ(صرف) ومن أمثلة ذلك :

- صرَفَ همَّه إلىٰ كذا: أي عُنِي به واهتمّ.
- وصرَفْتُ له مبلغًا من المال: أيْ أعطيته إياه.
- وصَرَفْتُ القطعة من النقد: بمعنىٰ فرَّقتُها إلىٰ أجزاء، أو استبدلتُ بها غيرَها.
- وصرَف إليه وجهه: أيْ اتجه إليه والتفت إليه.
- وصرفْتُ الرسالة إليه: أيْ أرسلتها إليه أو حوَّلتها.
- وانصرفنا من العمل: بمعنىٰ رجعنا منه.
- وانصرف الطلاب: أيْ رجعوا من المدرسة.
- وصرف وقته في القراءة: بمعنىٰ قضاه في القراءة.
- وصرف ماله علىٰ عياله: أي أنفقه عليهم.
- وصَرَفَ الْمُوَلِّدُ الكهربائي كثيرًا: أي استهلك الطاقة كثيرًا.
- وصرف عنه النظر، بمعنىٰ: لم يكترث به.
- وصَرْف المياه: إسالتها في مجارٍ وقنواتٍ خاصة.
- والتصرُّف في الشيء وتصريفه وصَرْفه: كل ذلك يُستعمل بمعنىٰ التحكم فيه، أوتوزيعه، وامتلاك مشيئة العمل فيه بنوع من أنواتع

التغيير ونحوه[1].

وهذا الذي ذكرته ما هو إلا أمثلة يسيرة، لتطور استعمالات كلمة "صرف" في العصر الحديث، والحق أن إحصاءَ دلالاتها فيه ومجالات استعمالها يستعصي علىٰ العادّ، وهذا التطور مستمر إلىٰ يومنا هذا، مثل:

- صرف السيارة للزيت.
- والمصارف المالية(واحدها: مَصْرِف) وهي البنوك.
- وصرْف الفواتير.
- وتصريف شؤون البلد.... ومن أراد الاستزادة فعليه بالمراجع المحال إليها.

*** *** ***

١) انظر: معجم أمهات الأفعال معانيها وأوجه استعمالها، لأحمد عبد الوهاب بكير ٢/ ٧٣٣-٧٣٥، والمنجد في اللغة العربية المعاصرة صـ٨٣٠-٨٣٢(صرف). والمعجم الوسيط ص٥١٣(صرف).

ثانياً: مأخَذ "التصرِيف" مِن الاشْتِقاق

كلمة "التصريف" مشتقة من "صَرَّف" المضعَّف العَين، واستقصاء دلالة هذه المادة يقتضي معرفة العلاقة اللغوية بينها وبين الاشتقاق، ويَتبيَّن مما سبق في التأصيل المعجمي التداخلُ الدلاليُّ والإجرائي بين "التصْرِيف" لغةً والاشتقاق، ومِنْ ثَمَّ عُدَّ التصريف من أدلَّة الاشتقاق(١)، فالاشتقاق مأخوذ من "الشّقّ"وأصله الصَّدْع(٢)، والشيء إذا انصدع صارتْ له أجزاءٌ يَنقَسِمُ إليها، ولذلك شبَّهوا به تشقيق اللفظ إلىٰ ألفاظ متباينة، ولكنها ترجع إلىٰ أصل واحدٍ، تدلُّ عليه كلها لفظًا ومعنىً، وتُرَدُّ إليه ولو بأدنىٰ ملابسة في المعنىٰ، مع الاتحاد في الحروف الأصلية وترتيبها(٣)، ومِنْ هنا جُعِلَ "التصرِيفُ" اشتِقاقًا، كما تقدم، وكلُّ ما لا يُعْرَف له اشتقاقٌ يُرَدُّ إليه فليس له تصريفٌ(٤).

قال الرمّانِي(٣٨٨ه): "التصريفُ: تصييرُ الشيءِ في جهاتٍ مختلفة"(٥) ثم قال:"الاشتقاق فرْعٌ مِن أصْلٍ يدورُ في تصاريفه علىٰ الأصل"(٦) وبيانُ كلامِه أنّ الجهات المختلفة التي يُصارُ إليها في التصريف، هي الفروع المشتقة من الأصل

---

١) انظر ارتشاف الضرب ١/ ١٥.

٢) انظر لسان العرب (شقق).

٣) انظر ارتشاف الضرب ١/ ١٤.

٤) انظر التتمة في التصريف، صـ٣٣.

٥) رسالة الحدود النحوية للرماني صـ٦٧.

٦) السابق صـ٦٩

المتصرِّف، ولولا أنّ المادة اللغوية قابلةٌ لتصييرها في جهات مختلفة لَمَا أمكنَ الاشتقاقُ منها.

وقال ابن جني(٣٩٢هـ) : "وينبغي أنْ يُعْلَم أن بين التصريف والاشتقاق نسبًا قريبا"[١] ثم بيَّن ذلك وشرحه، وقال في تبيانِ معنىٰ الاشتقاق "أنْ تأْخُذَ أصْلًا من الأصول فتتقرَّاهُ فتجمَعَ بين معانيه، وإنْ اختلَفَتْ صِيَغُه ومَبانيه"[٢] قوله: "فتَتَقَرَّاهُ" أي تتبع ما يُمْكِنُ أخّذُه من الصِّيغ الْمُشْتقَّة منه، ويُسمىٰ هذا بالاشتقاق الأصغر[٣]، نحو: صَرَفَ يَصْرِفُ صَرْفًا وصَرافَةً ومَصْرفًا، وانْصَرَف ينْصَرِفُ انْصِرافًا، ومُنْصرفًا، وتصَرَّفَ تَصَرُّفًا ومُتَصرّفًا، وصَرَّفَ يُصَرِّفُ تَصْرِيفًا...

قال صاحب مراقي السعود:

والاشْـــتِقاقُ رَدُّكَ اللفْـــظَ إلـــىٰ لَفْـــظٍ وأطْلِـــقْ في الـــذي تَأَصَّـــلا
وفي المعـــاني والأصـــولِ اشـــتِراطا تَناسُـــبًا بينهمـــا مُنْضَـــبِطا
لا بُـــدَّ في الْمُشْـــتَقِّ مِـــنْ تَغْيِيـــرِ مُحَقَّـــقٍ أو كـــانَ ذا تَقْـــدِيرِ[٤]

معنىٰ هذا أنّ الاشتقاق الذي ذكره ابن جني في تعريفه السابق حقيقته: تفريع اللفظ الواحد إلىٰ ألفاظٍ، تحكمُ علىٰ أحدها بأنه الأصل، ثم تحكم علىٰ سائرها بأنها فروع عنه مردودة إليه، بثلاثة شروط:

---

١) المنصف ١/ ٣.

٢) الخصائص ٢/ ١٣٤.

٣) السابق نفسه.

٤) مراقي السعود لمبتغىٰ الرُّقِيّ والصعود ص٢٧.

الأول: أن يكون المعنىٰ الأصلي الذي يدل عليه الأصلُ موجودًا في فروعه، ويُسمَّىٰ هذا بالتناسُب المعنويّ.

الثاني: أنْ تكون الحروف الأصليةُ موجودة لفظًا وترتيبًا في الأصل وفروعه، ولاينخرم ذلك بالتغييرات التي تقتضيها الأحكام الصرفية الصوتية كالحذف والزيادة ونحوهما، ويُسَمَّىٰ هذا بالتناسُب اللفظي.

الثالث: تغْيير الصيغة لفظًا أو تقديرًا، فالصِّيَغ الفرعية يجب أن تكون مغايرةً للصيغة الأصلية، لفظًا، وهذا هو الغالب، نحو: صَرَفَ وصارِفٌ ومَصْروفٌ ومُنصرف من "صَرْف" أو تقديرًا، كفَرِحَ وطَلَبَ(فِعْلَيْنِ) من (فَرَحٍ وطَلَبٍ) الْمَصْدَرَيْن، فتُقَدَّر حركة العين في الفرع غيرها في الأصل وإن كانت واحدةً صوْتًا.(١)

قال سيبويه في أثناء حديثه عن "لَيْس": "ولا يكون منها فاعلٌ ولا مصدرٌ(٢) ولا اشتقاق، فلما لم تَصَرَّفْ تَصَرُّفَ أخواتها جُعِلَت بمنزلة ما ليس من الفعل نحو ليت"(٣)

الشاهد من كلامِ سيبويه أنه فَسَّر "التصْرِيف" بـ(الاشتقاق) مِن قِبَلِ أنه ذكَرَ أن(لَيْسَ) لا يُشْتَقُّ منها اسمُ فاعِلٍ ولا مَصْدَرٌ ولا غيرهما من المشتقات، وسَمَّىٰ هذا عَدَمَ التصَرُّف، فلو كانت يُشتَقُّ منها لكانتْ متصرِّفَةً كأخواتها.

---

١) انظر: نشر البنود صـ١٠٧-١٠٨،ومراقي السعود إلىٰ مراقي السعود صـ١٢٠

٢) رأي سيبويه والبصريين معه أن المصدر أصل الاشتقاق.

٣) سيبويه ٤/ ٣٤٤.

وقال أيضًا:"هذا باب ما تُكثِّرُ فيه المصدرَ من فَعَلْتُ، فتُلحقُ الزوائدَ وتَبْنيه بناءً آخر،كما أنَّك قلت في فَعَلْتُ: "فَعَّلْت" حين كثَّرتَ الفعلَ، وذلك قولك في الْهَذْر: التَّهْذار، وفي اللَّعِب: التَّلْعاب، وفي الصَّفْق:التَّصْفاق، وفي الرَّدِّ: التَّرْداد، وفي الجَوَلان: التَّجْوال، والتَّقْتال والتَّسْيار،وليس شيءٌ من هذا مصدرُ (فَعَّلْتُ) ولكن لما أردت التكثير بَنَيْتَ المصدر علىٰ هذا كما بَنَيْتَ فَعَّلْتُ علىٰ فَعَلْتُ"[1]

دلَّنا سيبويهِ هنا علىٰ أنَّ تكثير المعنىٰ وتحويله للزيادة فيه يحتاج إلىٰ زيادة في المبنىٰ، أي التفريع علىٰ الأصل ــ **وهذا هو مفهوم الاشتقاق** ــ فإذا أردنا الدلالة علىٰ كثرة الفعل من "صَرَف" قلنا: "صَرَّف" وإذا أردنا المبالغة في تكثير مصدره قلنا: "التَّصْراف" بدل التصريف، وهذا يعنىٰ أن اشتقاق صيغة من أخرىٰ يلزم منه قلبُها وتحويلها إلىٰ صورٍ تصريفية مغايرة لأجل المعنىٰ المراد ــ **وهذا هو التصريف** ــ وسيبويه يرىٰ أنَّ "التَّفْعال" ليس مصدرًا لـ(فَعَّلَ) ولكنه مبالغة في المصدر الأصلي قبل التضعيف، كما أنَّ (فَعَّل) المضعَّف تكثير لمعنىٰ"فَعَل" المخفف، وعليه لا يكون مصدر "فعَّل" إلا التفعيل، لا التَّفْعال، والكوفيون علىٰ خلافه في ذلك[2].

والخلاصة أن الدلالة المعجمية الأصليةَ لمادة "صرف" تتحقق تحقُّقًا بَيِّنًا في ظاهرةِ الاشتقاق في اللغة، ولذلك قال ابن جني: "ولا يوصَل إلىٰ معرفة الاشتقاق إلا به[3]، وقد يؤخذ جزءٌ من اللغة كبير بالقياس، ولا يوصَل إلىٰ ذلك

---

١) سيبويه ٤/ ٨٣-٨٤.

٢) انظر شرح السيرافي علىٰ سيبويه ٤/ ٤٦٠.

٣) أيْ : التصريف.

إلا من طريق التصريف"[1] ذلك لِما يستلزمه الاشتقاق من تقليبات وتغييرات في المباني الأصلية، وتحويلها من حالٍ إلىٰ أُخْرىٰ؛ لتوليد صِيَغٍ جديدة بمعانِـيَ مغايرة، ولكن يجب أن يكون ذلك منضبطًا بالشروط المتقدمة.

وسنجد في الدراسة القرآنية التالية أن الدلالة المعجمية المتقدمة لهذه المادة، قد امتدت امتدادًا واسعًا في القرآن الكريم، فاكتسبت فيه قيمة خاصة علىٰ المستوىٰ الدلالي التطبيقي، وسنجد أن المعاني التي تقدمت عند العرب لهذه المادة قد وردت في القرآن بطرق مختلفة، في مجالاتٍ معددة ومتنوعة، دلَّت علىٰ مرونة هذه المادة لفظيًّا ومعنويًّا، وعلىٰ تطورها في مجال التعبير عن الأغراض التي وردت بها في القرآن الكريم، كأغراض الإعجاز والجدال والتعجيز، وبيان قدرة الله تعالىٰ، وتنويع الأحكام والمواعظ، والتحكم في المخلوقات وتحريكها في كل جهة وفق المشيئة الإلهية، كما سنجد أن الدراسة المعجمية كانت بمثابة التمهيد لفهم هذه المعاني التي نجدها في القرآن لهذه المادة.

*** *** ***

---

١) المنصف: ١/ ٢.

ثالثاً: صِيَغُ(صرف) المستعمَلة في القرآن الكريم ودلالاتها السياقية

وردتْ مادة"صَرف" في القرآن الكريم من جهة التفصيل بالصيغ الآتية:

١ــ فَعْل: صَرْف.	٢ــ فَعَلَ: صَرَفَ.
٣ــ فُعِلَ: صُرِفَ.	٤ــ انْفَعَل: انْصَرَف.
٥ــ يَفْعِل: يَصْرِفُ.	٦ــ يُفْعَلُ: يُصْرَفُ.
٧ــ افْعِلْ: اصْرِفْ	٨ــ فَعَّلَ: صَرَّف.
٩ــ يُفَعِّل: يُصَرِّف	١٠ــ تَفْعِيل: تَصْرِيف.
١١ــ مَفْعول: مَصْرُوف	١٢ــ مَفْعِل: مَصْرِف.

رتَّبتُها ابتداءً بالمصدر من مخفف العَيْن لكونه مادة الاشتقاق، وهو مادة الدراسة من جهة العموم، ثم أوْليتُه الصيغ الفعلية من مخفَّف العَين؛لأجل التقارب الشديد بين دلالاتها، ثم أعقبتُها بالصيغ الفعلية من مضعَّف العَين؛ للسبب نفسه ــ وهو التقارب الشديد بين دلالاتها، وثلَّثتُ بالصيغ الاسمية لكونها في التصريف والاشتقاق تابعةً للفعل، فهذه ستةُ صنوفٍ لهذه الصيغ: المصدر المجرد، والفعل المخفف العين، والفعل المضعّف العين، ومصدر مضعَّف العَين، واسم المفعول، واسم المكان، روعي في تصنيفها العام الجانب التصريفي، وفي ترتيبها وتصنيفها الداخلي الجانب الدلالي، وهما متداخلان.

وهي في جميع هذه التصاريف تَرْجع في معانيها إلىٰ الدلالة الجذرية المتقدمة، ولكنها استُعمِلت في كل مرة في اشتقاق يقتضي بعض تلك المعاني، وقد تحمل أحيانًا تطويرًا للدلالة وإمدادًا لها ببعض الأبعاد الملابسة لها، وتوسيعًا لمفهومها الأصلي، بما يقرب منه حقيقة أو مجازًا أو استعارةً؛ لأجل الأغراض السياقية

للنص الذي وردتْ فيه، وسيتبين ذلك في دراستها التالية وفْق هذا التقسيم السداسي:

١ـ "صَرْف" بصيغة مصدر الثلاثي المجرد:

قال الله تعالىٰ: ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴾ (١) جاءتْ كلمة"صَرْف" هنا دالةً علىٰ المعنىٰ الأصلي لها وهو الرّدّ والقلب، أي: ما تستطيعون ردًّا ولا قلبًا للتكذيب، ولا لجزائه وهو العذاب، ومحتملة لمعنىٰ : الاحتيال والتصرّف، والتوبة(٢)؛ لأن السياق يرشح لها كل ذلك في هذا الموضع، فيكون المراد: لا تستطيعون التحوُّل مما أنتم عليه من الوضع، ولا الرجوع عما كنتم عليه، لاتغيير حالكم إلىٰ ما تريدون.

*** *** ***

٢ـ "صَرَفَ" المخفَّف العَيْن، ماضيه ومضارعه وأمْره، مجرَّدًا ومزيدًا:

أـ قال الله تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۚ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ ۖ وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(٣)

---

١) سورة الفرقان: ١٩.

٢) انظر: المحرر الوجيز ١١/ ٢٠، وتفسير الرازي ٢٤/ ٥٦

٣) سورة آل عمران: ١٥٢.

أوْردْتُ الآيةَ كاملَةً ليتبين السياق الذي وردت فيه الكلمة، ومناسبة ما قبلها لما بعدها، والمعنىٰ: ردّكم عنهم فتحوّلتم عن قتالهم إلىٰ غيرهم[1]، وهذه هي الدلالة الأصلية لمادة(صرف) ولا يخفىٰ ما يدل عليه الصَّرْف هنا سياقيًّا من معاني الانشغال والاهتمام بغير ما أُمِرَ بِالإقبال عليه من القتال والمواجهة، وهذا استعمالٌ مجازيٌّ متفرع عن المعنىٰ الأصلي.

ب ـ وقال الله تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ نَّظَرَ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ هَلۡ يَرَىٰكُم مِّنۡ أَحَدٖ ثُمَّ ٱنصَرَفُواْۚ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴾[2]

الدلالة هنا في موضعها الأصلي إخبارًا، وهو الرّدُّ والقلْب، أيْ انقلَبوا ورجعوا، ثم أخبر الله أنه فعلَ بهم ذلك مجازاةً لهم علىٰ أفعالهم، ويُحتمَل أن يكون المراد الدعاء عليهم[3]، أي جعَلَ الله قلوبهم مصروفةً عن الحقِّ، علىٰ سبيل الدعاء عليهم، فدلالة الدعاء هذه دلالة سياقية مجازية من جهة الأسلوب، والمعنىٰ المدعوُّ به هو الأصلي.

وقد بسط الطبري(٣١٠هـ) ذلك فقال: "يقول تعالىٰ ذكره: وإذا ما أنزلت سورة من القرآن فيها عيب هؤلاء المنافقين الذين وصف جل ثناؤه صفتهم في هذه السورة وهو عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم نظر بعضهم إلىٰ بعض فتناظروا هل يراكم من أحد إن تكلمتم أو تناجيتم بمعايب القوم يخبرهم به؟ ثم قاموا فانصرفوا من عند رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم، ولم يستمعوا قراءة

---

١) انظر تفسير الطبري ٤/ ٨٦،

٢) سورة التوبة: ١٢٧.

٣) انظر: تفسير الطبري ١١/ ٥٥، ومفردات ألفاظ القرآن صـ ٤٨٢، وتفسير القرطبي ٨/ ٣٠٠،

السورة التي فيها معايبهم، ثم ابتدأ جل ثناؤه قوله: (صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم) فقال: صرف الله عن الخير والتوفيق والإيمان بالله ورسوله قلوب هؤلاء المنافقين؛ ذلك (بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ) يقول فعل الله بهم هذا الخذلان وصرف قلوبهم عن الخيرات من أجل أنهم قوم لا يفقهون عن الله مواعظه استكبارًا ونفاقًا"[1]

وذهب الدامغاني(٤٧٨ه) إلىٰ أن المعنىٰ: أمال الله قلوبهم[2]، والإمالة نوعٌ مما يدل عليه القلب والرّدّ؛ لأن كل شيء أُمِيلَ فقد قُلِبَ ورُدَّ عن وجهته وحاله إلىٰ غيرها، سواء أكان ذلك علىٰ سبيل الإخبار أو الدعاء.

ج ـ قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ قَالُوا۟ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[3] أيْ إذا حُمِلوا علىٰ قَلْبِ أبصارِهم وتحويلها عن أهل الجنة، إلىٰ النظر إلىٰ أهل النار، فدلالة "الصرف" هنا صريحة، وهي القلب والتحويل، ودَلَّ بناء الفعل للمجهول علىٰ أنهم حُمِلوا علىٰ ذلك إمَّا مُكْرَهين لأجل أن يتعظوا ويحمدوا ربهم[4]، أو أنّ ذلك حصل منهم مما جُبِل عليه الإنسان من حبِّ الاستطلاع، وكِلا الأمرين يضيف فائدة زائدة عن معنىٰ "الصرف"[5]دلَّ عليها السياق، قال ابن عاشور(١٣٩٣ه) رحمه الله: "والصرف هنا مجازٌ في الالتفاتِ أو استعارة"[6] وإنما حمله علىٰ هذا أنه قال قبله:"الصرف: أمر الحالِّ بمغادرة

---

١) تفسير الطبري ١١/ ٥٥.

٢) الوجوه والنظائر ٢/ ٢١.

٣) سورة الأعراف: ٤٧.

٤) انظر الكشاف ٢/ ٦٤، والبحر المحيط ٥/ ٥٩.

٥) انظر التحرير والتنوير ٩/ ١٤٤.

٦) السابق نفسه.

المكان"[1] فهو يرىٰ أن الأبصار لم يكن منها مغادرة لمكانها، وإنما استعير لها ذلك تشبيها، أو استُعمل الالتفات مجازًا في المغادرة!

وهذا الذي بَنىٰ عليه لا أراه لازمًا؛ لأن المراد هنا صرْفُ البَصَر عن الجهة التي كان حالًّا فيها، وهي محلُّ النظر، والبَصَرُ قوَّة تصدر عن جارحة حسيَّة، وهي العيْن، فتدرك بها الأشياء الحسية كالألوان والأشكال والأضواء[2]، ولذلك يُعدُّ من الحواسّ، كاللمس والذوق والشّمّ والسمع، فانصرافه حقيقةٌ، وصَرْفُه عن الجهة التي كان واقعًا عليها حقيقة أيضًا، وهو إذا صُرِفَ عنها صحَّ أن يُقالَ قد غادر مكانه الذي كان حالًّا فيه، وصَرْفُ البَصَر صَرْفٌ لصاحبِه الذي يُبْصِرُ به، ونسبة الفعل لعضو من أعضاء الفاعل نسبة حقيقية إلىٰ الفاعل، لأنها جزء منه، ولايُنسَب له فعلٌ وهو مجردٌ من أعضائه التي يباشر بها الأفعال، ومِن ثَمَّ لا يبدو لنا القول بالمجاز أو الاستعارة هنا لازِمًا.

د ـ قال تعالىٰ: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱلسِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ ۖ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ فَٱسْتَجَابَ لَهُۥ رَبُّهُۥ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[3]

وفي هاتين الآيتين ورد الصرف بمعنىٰ الدفع[4] والمنع والحماية، لأن السياق علىٰ هذا يدل، فيوسف عليه السلام طلب من ربه أن يدفع عنه كيد النساء ويحميه ويمنعه من الوقوع في المعصية، واستعملت كلمة "صَرَف" للدلالة علىٰ هذا المعنىٰ؛ لأن الدلالة الأصلية للمادة تمتد لهذا المعنىٰ وتشمله، فالشيء إذا رجع

---

١) السابق نفسه.

٢) انظر: التعريفات للجرجاني ١٠٥

٣) سورة يوسف: ٣٣-٣٤

٤) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ١٢٥.

عنك وقُلِب إلىٰ وجهةٍ غير وجهتك فقد دُفِعَ عنك ومُنِعتَ منه، غير أن التعبير بالصرف أقوىٰ للدلالة علىٰ شدة الرغبة في وقوع المعنىٰ، ولا سيما أنه في سياق طلب ودعاء، وإظهار شدة الرغبة والالتجاء إلىٰ الله تعالىٰ[1]، بل نجد الفخر الرازي(٦٠٤هـ) يستنبط هنا أن يوسف عليه السلام "طلب من الله تعالىٰ أن يُحْدِثَ في قلبه أنواعًا من الدواعي المعارضة النافية لدواعي المعصية"[2] وليس في الآية ما يدل علىٰ هذا إلا الدلالة اللغوية لكلمة "صرف" التي استعمِلَتْ لذلك هنا لِسعَة دلالتها، فهو امتدادٌ مجازيّ.

هـ ـ قال تعالىٰ:﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴾[3]

استُعمِلَ المعنىٰ المباشر للصرف هنا مقرونًا بحرف الجر"إلىٰ" ليفيد الرّدّ عن حالٍ إلىٰ أخرىٰ، ومِنْ جهةٍ إلىٰ غيرها، **قال ابن عطية**(٥٤٦ه): " صرَفْنَا: معناه رَدَدْناهم عن حالٍ ما"[4] ولِعمومِ دلالة الصرفِ ــ وهي الرّد والقلْب والرَّجْع ــ استُعمل هنا مجازيًّا بمعنىٰ بعَث وَوجَّهَ وأمالَ[5]، ونحو ذلك مما يخصصه

---

١) انظر حول هذه الدلالة الموضع السابق من تفسير الطبري، والتحرير والتنوير لابن عاشور١٢/ ٢٦٦.

٢) التفسير الكبير١٨/ ١٠٦

٣) سورة الأحقاف: ٢٩

٤) المحرر الوجيز١٣/ ٣٦٧.

٥) انظر تفسير القرطبي ١٦/ ٢١٠، وغرائب التفسير للنيسابوري بحاشية تفسير الطبري ٢٦/ ٢٠

السياق هنا، قال الدامَغاني: "﴿ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ ﴾ أيْ وجَّهْنا إليك"[1] إذ المعنىٰ أن الله تعالىٰ وجَّهَ مجموعة من الجنِّ وبَعَثهم إلىٰ الرسول صلىٰ الله عليه وسلم ليستمعوا منه القرآن[2]

و ـ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ [3]

قال تعالىٰ: ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ﴾[4]

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُۥ عَن مَّن يَشَآءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَٰرِ ﴾[5]

جاء "الصرف" في هذه الآيات بصيغة المضارع الدال علىٰ الحال والاستقبال، والاستمرار والتجدد، والمعاني العامة المجازية التي تحملها هذه الصيغة في هذه الآيات هي: الدفع والمنع والإبعاد، والصدّ، وعدم التمكين[6]، وكلُّ ذلك يلتقي مع الدلالة الأصلية للصرف، لأن هذه المعاني تنشأ من قلب الأمر وتغيير الحال من جهة إلىٰ أخرىٰ، حِسًّا أو معْنًىٰ، إذ المراد أن الله تعالىٰ يقلب الحال إلىٰ حالٍ

---

١) الوجوه والنظائر ٢/ ٢٠.

٢) انظر: تفسير الطبري ٦٥/ ٢٠، وتفسير القرطبي ١٦/ ٢١٠

٣) سورة الأعراف: ١٤٦.

٤) سورة يوسف: ٢٤.

٥) سورة النور: ٤٣.

٦) انظر: البحر المحيط ٥/ ١٧٣، والتحرير والتنوير ١٠٣.

أخرىٰ، والشيء إذا انقلب عن وجهته وتحوَّل عنها لم يتمكن منها، بل يكون مصدودًا عنها.

ورُوي عن بعض العلماء تفسير "الصرف" في الآية الأولىٰ:﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ بالإضلال والإعماء عن الحق وعن الاهتداء(١)، وكلّ هذا من الصرف المعنوي، وهو صَرْفُ النفس عن رؤية الحق والانتفاع به، وعن رؤية ما يصلح لها، وعما تريده، وصَرْفها يكون بعدم توفيقها وتبصيرها، ويحصل بتركها في عمايتها وغفلتها عن الحقِّ والعلمِ النافع، وهذا امتدادٌ مجازي للدلالة الأصلية للصرف.

ز- قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ (٢)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴾ (٣)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ ﴾(٤)

وقَالَ تَعَالَىٰ:﴿ قُلۡ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ مَّن يُصۡرَفۡ عَنۡهُ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمَهُۥۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴾(٥)

---

١) انظر: التحصيل للمهدوي ٣/ ٩١-٩٢، والبحر المحيط ٥/ ١٧٣.

٢) سورة يونس: ٣٢.

٣) سورة الزمر: ٦.

٤) سورة غافر: ٦٩.

٥) سورة الأنعام: ١٥-١٦.

أسلوب " **أَنَّىٰ يُصۡرَفُونَ** " أسلوب استفهامي توبيخيٌّ، يرادف أسلوب"كيف" في الاستفهام والاستبعاد[1] والمعنىٰ: "بأيِّ جهةٍ تضلون؟ وبأيِّ سبب؟"[2] ومن دقائق التناسب الدلالي هنا الاستفهام بـ(أنَّىٰ) عن "الصرف"! فـ(أنَّىٰ) اسْمٌ مَبْنِيٌّ للاستفهام عن مكان وجهةٍ، بمعنىٰ "كيف" علىٰ وجه الاستبعاد، نحو: أنّىٰ يكون هذا؟ أي: كيف يكون؟ وقد ترادف (أينما) نحو: "أنّىٰ ذهبت تجد الشمس والقمر" أي: أينما ذهبت[3]، فهو مناسبٌ للصرف الذي هو الانصراف من جهة إلىٰ أخرىٰ، ومن حالٍ إلىٰ غيرها، فالاستفهام حصل عن مكانٍ، والانصراف واقعٌ من مكان إلىٰ آخر، فوقع التناسب الدلالي بينهما، وهذا من دقائق الأسلوب القرآني الرائع، ومن دقائق الاستعمالات المجازية لهذه المادة.

و"**الصرْف**" في هذه الآيات مثله في الآيات اللاتي قبلهنّ، جاء بمعنىٰ الدفع والصدّ والتحويل، " **فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ** " أي كيف تُدفعون عن الحقِّ وتتحوَّلونَ عنه إلىٰ الباطل؟ وتُصَدُّون عن الحقِّ وعبادة الله وحده، وتتحوَّلون إلىٰ الشرك باستمراركم عليه، أو تعدلون عن الإيمان إلىٰ الكفر[4]، وبهذا يرتبط المعنىٰ بالدلالة الأصلية لمادة "صرف".

---

١) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٧/ ٧١، وتفسير القرطبي٨/ ٣٤٠.

٢) المحرر الوجيز لابن عطية ١٢/ ٥٠٥، وانظر التحرير والتنوير١١/ ١٥٩.

٣) انظر: حروف المعاني للزجاجي صـ٦١.

٤) انظر: الوجوه والنظائر ٢/ ٢٢، والكشاف ٢/ ١٩٠، وتفسير القرطبي ٨/ ٣٤٠

وقول الله تعالىٰ:" **مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ** " أي مَن ينجيه الله ويحفظه من العذاب ويُحوِّله عنه أو يدفعه عنه[1]، فالدلالة الأصلية للصرف هنا امتدتْ إلىٰ **التحويل والتنجية والدفع**، ولايخفىٰ ما يُفهمِهُ السياق من دلالة "يُصرفون" علىٰ **الصدود والإعراض**، ونحو ذلك مما يفضي إليه التحوُّل إلىٰ غير المأمور به حسِّيًا ومعنويًّا، أو الإعراض عن أسباب السعادة إلىٰ أسباب الشقاوةِ.

ولا يخفىٰ أيضا ما يدل عليه بناء الفعل للمجهول في هذه القراءة، في الكلمات المسندة لواو الجماعة، من كون الصرْف ناتجًا عن هوىٰ النفس وتكذيبها للحق، وقناعتها بالباطل، وضلال العقل عن الهدىٰ، فهو صَرْفٌ حسِّي ناتج عن أمور معنويةٍ نفسية حمَلَتْ أصحابها علىٰ الانصراف[2]، وهذه دلالة مجازية رائعة.

وجاءتْ صيغة الأمر من "صَرَف" بأسلوب طلبيٍّ، مرادًا بها الدعاء، بالدلالة المتقدمة نفسها، في قول الله تعالىٰ: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا**﴾[3] فأخبر الله تعالىٰ عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك؛ طالبينَ من ربهم أن يدفع عنهم عذاب جهنم، ويحميهم وينجيهم منه، وجاءت دلالة كلمة " اصْرِفْ" هنا مناسبة للسياق الذي سيقت له، وهو بيان شدة فَرَقهم من عذاب جهنم، وعظيم خوفهم منه[4]؛ لِمَا تدل عليه هذه المادة اللغوية من قوةِ اندفاع الشيء وابتعاده عن المصروفِ عنه، إلىٰ درجة قلْبِ الحالِ وتغيير

---

١) انظر : تفسير الطبري ٧/ ١٠٢ والوجوه والنظائر ٢/ ٢١، والكشاف٢/ ٦، والبحر المحيط ٤/ ٤٥٥.

٢) انظر: الحاشية السابقة، والمحرر الوجيز ٥/ ١٤٤والتحرير والتنوير ١١/ ١٥٩.

٣) سورة الفرقان: ٦٥

٤) انظر: تفسير الفخر الرازي ٢٤/ ٩٤، والتحرير والتنوير ١٩/ ٧٠.

الوضع القائم أو الْمَخوف إلىٰ عكسه، فانظر كيف حصل الربط العجيب بين الدلالة الأصلية لــ(صرف) وهذه المعاني المجازية الناشئة!

*** *** ***

٣ــ "صَرَّف" المضعَّف العَيْن، بصيغَتَي الماضي والمضارع:

تقدَّم في تأصيل الدلالة المعجمية أن "صرّف" المضعَّف العين يدل علىٰ زيادةٍ في المعنىٰ[١]، قد تكون تلك الزيادة لغرض التأكيد أو المبالغة، أو التعبير عن تكرار إيقاع الفعل وتنويعه، ونحو ذلك من المعاني المجازية، مهما يكن المعنىٰ السياقي المخصص للدلالة الأصلية، وسيتبين ذلك في الآيات الآتية:

أ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾[٢]

معنىٰ الصرف هنا: التبيين، أيْ بَيَّنَّا[٣] قال الفخر الرازي رحمه الله :"قال الجبّائي: قوله تعالىٰ(وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُواْ) يدل علىٰ أنه تعالىٰ إنما أنزل هذا القرآن، وإنما أكثر فيه من ذكر الدلائل لأنه تعالىٰ أراد منهم فهمها والإيمان بها..."[٤] فذكر أنَّ "صرَّف" هنا يدل علىٰ تكثير التبيين لغرض الإفهام والدعوة للإيمان، ومنشأ التكثير أن "التصريف" يقتضي التكرير والتنويع[٥]، وهذا تفريع مجازي مستفاد من الصيغة.

---

١) انظر المغني في تصريف الأفعال للشيخ عضيمة، ص١٣١.

٢) سورة الإسراء: ٤١.

٣) معاني القرآن للزجاج ٣/ ٢٩٦.

٤) تفسير الفخر الرازي ٢٠/ ١٧٣.

٥) انظر: تفسير الفخر الرازي٢١/ ١١٩.

ب - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾(١) أيْ عَبَّرنا عنه وقررناه بعبارات متنوعة، وكرَّرنا ورددنا بأساليب مختلفة، وبوجوه من التقريرات(٢)، فهذا كله من الأصل الذي هو تحويل الشيء وتنويعه من حالٍ إلىٰ حالٍ، والله يخبرنا عن تصريفه للأمثال وتقريرها بأساليب تعبر عنها كلمة "صرَّف" سياقيًّا بدلالتها اللغوية، وجاءت هذه الدلالَةُ بالطريقة نفسها في الآية التالية:

ج - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴾(٣) وهذا التصريف هو المُراد بالتفصيل في قول الله تعالىٰ: ﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾(٤) فقوله "فُصِّلَتْ آياتُه" بمنزلةِ "صُرِّفَتْ" لأن معناه: بُيِّنَتْ آياتُه(٥)، وقد أفاضَ الفخر الرازي(٦٠٤هـ) ــ رحمه الله ــ في توضيح هذا التفصيل وما يجمعه من المعاني، وما يقع تحته من أنواع العلوم والمباحث والعظات والتوجيهات التي فُرِّقتْ وبُثّتْ في القرآن بأساليب شتَّىٰ عبَّرَتْ عنها كلمة(فُصِّلَتْ) هذه كما عبَّرَتْ عنها كلمة"صَرَّفْنَا" بدلالتها اللغوية(٦)، وأخذَ النسفيُّ(٧١٠هـ) ــ رحمه الله ــ كلامَه فلخصه بقوله:

---

١) سورة الإسراء: ٨٩.

٢) انظر: الكشاف٢/ ٣٦٢،٣٧٥ ، وروح المعاني للألوسي ١٥/ ١١٣، ٢٢٩،٣٩٩.

٣) سورة الكهف: ٥٤.

٤) سورة فُصِّلَت: ٣.

٥) تفسير الطبري ١١/ ٥٩.

٦) تفسير الفخر الرازي ٢٧/ ٨٢.

"(فُصِّلَتْ آياتُه) مُيِّزَتْ وجُعِلَتْ تفاصيلَ في معانٍ مختلفة، من أحكامٍ وأمثالٍ، ومواعظَ، وَوعدٍ ووعِيدٍ، وغير ذلك"[1] وهذا الذي ذكره الامتدادات المجازية لهذه الصيغة، موافقٌ لِما فُسِّر به التصريف، كما تبيّن فيما مضىٰ، وسيأتي له مزيد من التبيان.

د - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾[2]

أي كرَّرْنا وفصَّلْنَا علىٰ وجوه متعددة ومتنوعة[3]، أو بيَّنَّا ووضحْنا[4]. فقد عبَّر الله تعالىٰ عن التبيين المتعدد، والتفصيل المكرّر، والأسلوب المنوَّع، بالفعل "صَرَّف" المفيد لتغيير الحال، وقلب الشيء إلىٰ جهاتٍ متعددة، ليدل بهذا المعنىٰ المعجمي علىٰ جميع هذه الأغراض السياقية بما يتضح بها من المعاني المجازية.

هـ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[5] أيْ بيَّنّاها بالإنذار بالعذاب[6] وفسرها الرازي بذلك أيضًا، ثم قال:

---

١) تفسير النسفي ٤/ ١٢٨.

٢) سورة طه: ١١٣.

٣) تفسير الفخر الرازي ٢٢/ ١٠٥، وروح المعاني للألوسي ١٥/ ١١٣، ٣٩٩،٢٢٩.

٤) الوجوه والنظائر ٢/ ٢٠.

٥) سورة الأحقاف: ٢٧.

٦) فتح الرحمن للعُليمي ٦/ ٣٠٠.

"المراد بالتصريف الأحوال الهائلة التي وُجِدتْ قبل الإهلاك"(١) وقيل: كرَّرنا عليهم الحُجج وأنواع العِبَر(٢)، فدل الفعل "صَرَّف" علىٰ زيادةٍ في التبيين، والتنويع في الحُجج والمواعظ، وقلْب الأمر ورجْعِه من حالٍ إلىٰ حالٍ، وهذا الغرض لا يفيده في مثل هذا سوىٰ لفظ "التصريف" لشموله لأنواع التغيير والتبديل والتنويع، وهذه كلها تفريعات من الدلالة الأصلية، كما تقدم.

و - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴾(٣) وردتْ هذه الآية في سياق الحديث عن المطر، فجاء معنىٰ"صرَّف" بمعنىٰ : قَسَّمَ، أي قسّمْنا المطر بينهم ليتعظوا(٤)، وعبَّر بعض العلماء عن "التصريف" هنا بالتنويع والتكرار والتوزيع والإجراء في جهات مختلفة، وأزمان متنوعة، ودرجات متفاوتة، سواء أكان المراد المطر أو غيره(٥)، وهذا متجه؛ لأن عموم الدلالة في الفعل"صرَّف" يمتد لذلك كله، والسياق يخصص عمومه بهذه المعاني المجازية الاستعمالية.

وهكذا قد تَبَيَّن لنا من خلال هذه الآيات أن الدلالة الأصلية لمادة "صرف" قد تجددت لها زيادة في التنويع والتكرير والمبالغة، في صيغتها المضعَّفة، لأغراض متعددة كإرادة مزيد من البيان والتوضيح والتفهيم، أوالتنبيه والتحذير والوعيد، أو تعداد النعم أو النقم، أو الترهيب والترغيب والتخويف، أو تجديد

---

١) تفسير الفخر الرازي ٢٨/ ٢٦.

٢) تفسير النسفي ٤/ ٢١٥.

٣) سورة الفرقان: ٥٠

٤) الوجوه والنظائر ٢/ ٢١.

٥) انظر: الكشاف ٣/ ١٠٠، وتفسير الفخر الرازي ٢٤/ ٨٦.

الوعظ وتنويعه، أو بيان الأحكام وتفصيلها.. ونحو ذلك من الأغراض القرآنية، **وعلىٰ هذا أيضًا نجدها في صيغة الفعل المضارع من المضعَّف العَيْن، بهذه المعاني المجازية المتفرعة من الدلالة الأصلية، كما في الآيات التالية:**

أ- قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِۦٓ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴾[1]

نُصَرِّف الآيات: بمعنىٰ: نورد الآيات علىٰ وجوهٍ مختلفة، وأنواعٍ متكاثرة، يصدق بعضها بعضًا ويعضده، تقريرًا وإيضاحًا وتفهيمًا وكشْفًا لها[2]، ويُفسِّر هذا التصريف تأويله بالتخويف بأخذ الأبصار والأسماع والقلوب، وبالإخبار عما صُنِع بالأمم السابقة، وبأنها تأتي بالنقمة تارةً، وتارة بالنعمة، وتارة بالترغيب، وتارة بالترهيب، وبتتابع الحجج وضرْب الأمثال، وبالتوجيه إلىٰ الإنشاء والإفناء والإهلاك..ذكر هذا كله أبو حيان عن بعض أئمة التفسير[3]، ولعموم "التصريف" في الدلالة علىٰ قلْب الشيء وتنويعه وتحويله علىٰ أوْجُهٍ وأحوالٍ متغايرة نجد أنه يشمل هذا كله ونحوه من المعاني المجازية والسياقية المرتبطة بالدلالة بهذه الدلالة الجذرية للمادة.

ب - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ

---

١) سورة الأنعام: ٤٦.

٢) انظر: تفسير الفخر الرازي ١٢/ ١٨٨.

٣) انظر البحر المحيط٤/ ٥١٦.

يَفْقَهُونَ ﴾[1]

ج - وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾[2]

د - وَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾[3]

ورد الفعل "نُصرِّف" في جميع هذه الآيات بمعنىٰ: نردد ونكرر[4] ونبيِّن وننوِّع، وننقل الآيات من حالٍ إلىٰ حالٍ، ومن جهةٍ من النظم والتعبير إلىٰ جهةٍ مختلفة، ونغيّرها لتوافق ما هو مطلوب من التغيير والرجوع، وتزيد صيغة المضارع هنا في هذا المعنىٰ، بما تدل عليه من الاستمرار وبيان الحال، وأنَّ هذا هو شأنُ هذه الآيات المنزلة من الله تعالىٰ، بما تحمله من الأحكام والمواعظ والبيّنات والحُجج علىٰ خَلْقه، تأتيهم تَتْرَىٰ بهذه الأساليب المتباينة، وهذه الطُّرُق اللافتة للأنظار، والمنبِّهة لأولىٰ الأبصار، لاتزال تتكرر وتتردد عليهم للدلالة علىٰ عظمة الخالق، وكمال اطلاعه علىٰ عباده، وكمال علمه وعنايته بهم، وأنه تعالىٰ غير غافل عما يعملون، ولم يتركهم سُدًىٰ فيما مضىٰ، ولن يتركهم كذلك فيما يأتي..ونحو ذلك من المعاني المجازية التي يوحي بها الإخبار بصيغة المضارع من هذه المادة اللغوية، مقارِنةً لهذه السياقات القرآنية.

قال ابن عاشور رحمه الله: "تصريف الآيات تنويعها باعتبارِ ما تدل عليه من

---

١) سورة الأنعام: ٦٥.

٢) الأنعام: ١٠٥.

٣) الأعراف:٥٨.

٤) انظر: تفسير النسفي ٢/ ٨٥.

الغرَض المقصود منها، وهو الإقلاع عن الشرك وتكذيب الرسل، وأصل معنىٰ "التصريف" التغيير والتبديل؛ لأنه مشتق من "الصرف" وهو الإبعاد، وكنىٰ به هنا(1) عن التبيين والتوضيح؛ لأن تعدد أنواع الأدلة يزيد المقصود وضوحًا، ومعنىٰ تنويع الآيات أنها تارة تكون بالحجة والمجادلة النظرية، وتارة بالتهديد علىٰ الفعل، وأخرىٰ بالوعيد، ومرة بالتذكير بالنعم وشكرها"(2)

ومِن بليغ دلالةِ استعمال هذه المادة في السياقات القرآنية: أنَّها استُعملَتْ في الأغراض الموافقة أوالمناسبة لمعناها اللغوي الأصلي، فإنَّ الله تعالىٰ يطلب من عباده في هذه الآيات تغيير سلوكهم الخاطئ، وتبديل أحوالهم المخالفة لشرعه، ورجوعهم من الضلال والانحراف إلىٰ الاستقامة علىٰ الفِطرة السليمة التي فطَرهم عليها، ويريد منهم أن يفهموا ويفقهوا أمره ووعظه، وأن يعتبروا ويذّكروا، وهذا يقتضي تغيير الحال، وتجديد الانتباه، وقلْب الأمور إلىٰ المأمور به، فعَبَّر عن ذلك كله ونحوه من المعاني المجازية بمادة "التصريف" المتضمنة لهذا المعنىٰ أصالةً، وهذا من عجيب النظم القرآني وإعجازه الفذّ الذي لا يُلحَق ولا يُجارَىٰ.

*** *** ***

٤ ـــ صيغة المصدر من الرباعي بالتضعيف "تصريف"

أ - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ

(1) يريد آية الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [سورة الأحقاف:٢٩].

2) التحرير والتنوير ٢٦/ ٥٤-٥٥.

ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١)

ب - قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٢)

في هاتين الآيتين وردتْ كلمةُ "تصريف" مضافةً للرياح، للدلالة علىٰ أن الرياح ــ أو (الريح) كما في بعض القراءات ــ هي الْمُصَرَّفَة، ومعنىٰ تصريف الرياح:"تصَرُّفُها من وجهٍ إلىٰ وجْهٍ، وحالٍ إلىٰ حالٍ"(٣) ويعني ذلك إرسالها متنوعةً علىٰ جهاتٍ مختلفة، وفي أوقاتٍ وأحوالٍ متباينة، وبمهامَّ مختلفةٍ ومتنوعة وكثيرة، وبدرجات متفاوتة، وبكونها أحيانًا باردة، وأحيانًا لينةً، وأحيانًا حارةً، وأحيانًا يابسة، وتكون مبشِّراتٍ، وأحيانًا مخيفةً وشديدة وضارَّة..(٤) قال الطبري رحمه الله:" وتصريف الله إياها أن يرسلها مرة لواقح ومرة يجعلها عقيمًا، ويبعثها عذابًا..."(٥).

ويَلحظ المرء هنا أيضًا المناسبة الدقيقة للدلالة اللغوية لِمادة "صرف" علىٰ ما سيقتْ له واستُعمِلَتْ في هذا الموضع، ذلك أن الله تعالىٰ أوْردَها معطوفةً علىٰ جمْعٍ من الآيات والظواهر الكونية، الدالةِ دلالةً واضحةً بيّنةً علىٰ قدرة الله، وعلىٰ عظيم خَلْقه، وعلىٰ إعجازه لمخلوقاته، فمن تأمّلها وتفكَّرَ فيها لايملك إلا

---

١) سورة البقرة: ١٦٤

٢) سورة الجاثية: ٥

٣) العين ٧/ ١٠٩

٤) انظر: تفسير الطبري ٢/ ٣٩، والوجوه والنظائر ٢/ ٢١، والمحرر الوجيز ١٣/ ٢٩٧، وتفسير القرطبي ٢/ ١٩٧، وتفسير النسفي١/ ١٤٢، والبحر المحيط ٢/ ٨١، وفتح الرحمن للعليمي ٦/ ٢٦٢.

٥) تفسير الطبري ٢/ ٣٩.

الاستسلام لتوحيد الله واتباعِ رسوله، وليس أمامه مجالٌ للشك في قدرة الله، ولَمَّا كانت الريح من أعظمِ مخلوقات الله، وأعجبِها وأعجزِها للعقل البشري؛ لتعلّق الحياة بها من جميع النواحي، وقوةِ تأثيرِها، وظهورِ منافعِها ومضارِّها، مع كونها مخلوقًا لطيفًا شفَّافًا غير مرئي[1]! استعمَل معها لفظ " التصريف" الذي له الدلالة الكاملة والشاملة لهذه المعاني جمعاء؛ لأنها امتدادات مجازية للدلالة الجذرية لهذه المادة اللغوية.

*** *** ***

٥ ـ صيغة "مفعول"

وردتْ هذه الصيغة في القرآن مرةً واحدةً في قول الله تعالىٰ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [2]

" لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ " أيْ ليس مدفوعًا ولا مَقْصِيًّا عنهم، فلا مخلص لهم منه بحالٍ، بل سيكون محيطًا بهم[3]، والدلالة اللغوية الجذرية هي المتقدمة نفسُها سبق، ولكن صيغة "المفعول" هنا تفيدُ بقرينة ما قبلها وما بعدها أن المراد تهديد الكُفّار بإخبارهم بما هو أشدُّ وقعًا علىٰ نفوسهم، من إحاطة العذابِ بهم وقتَ نزوله عليهم، وأنه لامُخْلِص لهم، ولا مهربَ من العذاب حينئذٍ، ولا أحدَ يملك ردَّه عنهم بحالٍ، وهذا أدعىٰ لاستكانتهم واستسلامهم، لأن نفي "الصرْف" يدل علىٰ إبطال جميع الحِيَل، وسدِّ جميع منافذ النجاة، من كلِّ جهةٍ، وهذا يورثهم

---

١) انظر البحر المحيط ٢/ ٨١.

٢) سورة هود: ٨

٣) انظر التحرير والتنوير ١٢/ ١١.

اليأس من الطمع في الخَلاص من عذاب الله، أو حصول مهملة للتوبة والرجوع بعد ذلك، فانظر كيف تفرَّعَ هذا المعنىٰ المجازي من الدلالة الأصلية بمعونة صيغة "مفعول"!

*** *** ***

٦ ـ صيغة "مَفْعِل" الدالة على المكان

وردتْ هذه الصيغة في القرآن مرةً واحدةً أيضًا، وذلك في قول الله تعالىٰ: ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾[1]

"الْمَصْرِف" اسمُ مكانٍ، من "صرف" الثلاثي، ومعناه: الْمَعْدِل[2]، أيْ لم يجدوا مَعْدِلًا يُعْدَل إليه عن النار[3]، ومعنىٰ "ظنُّوا": تَيَقَّنوا وتأكَّدُوا، ولا شك أنّ مَن تيقّن الهلاكَ وتأكَّد من مواقعته سيبحث عن أي مهرَب منه، أو أيِّة حيلة بأيّ طريقٍ تصرفه عنه، ولذلك جاءتْ كلمة "مصرف" هنا للدلالة علىٰ يأسهم من النجاة، وعلىٰ كمال تورُّطهم عند رؤيتهم النار وهم مواقعوها، لِما تدل عليه هذه المادةُ مما سبق بيانه من معاني التغيير والتبديل والتحيُّل، ولكنها في هذه الآية تجدَّدَ لها معنىٰ آخَرُ، وهو **إفادة الْحَصْر والضِّيق**، وهو معنىٰ مجازيّ، فالمراد أنهم حُصِرُوا وضاقَ عليهم الأمر من كلِّ وجهةٍ.

---

١) سورة الكهف: ٥٣.

٢) انظر اللسان(صرف).

٣) انظر: الكشاف ٢/ ٣٩٤، وتفسير النسفي ٣/ ٣١.

قال الشاعر:

أَزُهَيْرُ هلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَصْرِفِ أمْ لا خُلُودَ لِباذِلٍ مُتَكَلِّفِ[1]

أيْ هل يوجدُ مَعْدِلٌ عن شيبة؟ واستعمال "مصرف" أبلغ وأدَلُّ من "معدل" بسبب دلالة الصرف علىٰ المعاني المتعددة المتقدمة، ومنها القلْب والرَّجع والرّدّ والتحوُّل والتغيير، بأيِّ وِجهةٍ وعلىٰ أيَّةِ حالٍ، ومن هنا نجد قوة دلالة لفظة "مَصْرِف" علىٰ هذا تناسب نزولَ الشيب بالمرء؛ لأنه إذا نزل فلا مَصْرِفَ عنه ولا مهرب، ولا حيلة تدفعه عمن نزل به، ولذلك نجد أن اللفظ الذي يُعبِّر عن هذا بإحاطة كاملةٍ، ويفيده بدقة، هو لفظ" مَصْرِف" المشتق من "صَرَف" دون غيره.

*** *** ***

خلاصة ما دلَّتْ عليه كلمة "صرف" في القرآن بجميع تصاريفها الواردة فيه، أنها حافظتْ علىٰ معناها المركزي(الجذري) في جميع السياقات، ولكنه اتَّسَع فاكتسبت الكلمة معانِيَ فرعية جديدة، واتسعتْ دلالتها مجازيًّا لتمتد إلىٰ أغراض متعددة، واستعمالاتٍ متنوِّعةٍ، ومجالاتٍ كثيرةٍ، فرضها السياق والمناسبة التي وردتْ معها في كل آية، وكان من أهم مظاهر هذا الاتساع الدلالي مناسبة معناها الأصلي لكثير من الأغراض القرآنية، كالوعظ، والتقرير، والإعجاز، والتبيين، والتبصير، وطلب النجاة، والوعد، والوعيد، والكشف عن

---

١) البيت من الكامل، لأبي كبير الهُذَلي، انظر: شعر أشعار الهذَليين ٣/ ١٠٨٤ ، واللسان(صرف)

قوله: "أُزُهَيْرُ" نداء لـ(زُهيْرَةَ) علىٰ الترخيم، يجوز ضمه علىٰ لغة من لا ينتظر، وفتحه علىٰ لغة من ينتظر، وكلاهما صحيح. والمراد بالباذل المنفق للمال، والمتكلف هو الذي يتكلف البذل إذا لم يجد شيئًا ينفقعه.

حقيقة أمر ما، والإفصاح عن الحكم الشرعي، والبعث، والإرشاد والتوجيه، والدعاء، والتعبير عن جحود الكفار وعنادهم وضلالاتهم، والتعبير عن انحراف المنافقين وفساد أمرهم، والكشف عن المغيبات وحقائق الأمور، وتعداد النعم...وغير ذلك مما تقدم.

أما أهم المعاني المشتركة التي امتدتْ إليها دلالتها مجازيًّا في القرآن الكريم، حسب هذه الآيات فهي كما يلي:

١.الاحتيال والتصرّف.	٢.التوبة.	٣.الرجوع.	٤.التحوُّل عن الشيء،أو التحوّل إليه
٥. انقلاب الأمر وقلْبه	٦.المجازاة.	٧. الإبعاد.	٨. عدم التوقيق والتبصير.
٩.إنشاء الدعاء علىٰ الشيء.	١٠.الحماية.	١١. المنع.	١٢ .عدم الاهتمام بالشيء.
١٣.الإعراض عن الشيء.	١٤.الإرسال.	١٥ . التوجيه.	١٦.الالتفات إلىٰ الشيء والاهتمام به.
١٧. الانشغال بالشيء وترك الإقبال علىٰ غيره.	١٨.الميل والإمالة.	١٩.التبصير.	٢٠.عدم التمكين من الشيء.
٢١.دفع أمْرٍ.	٢٢. البعث.	٢٣.الصدّ.	٢٤. إيراد الشيء علىٰ وجوه متعددة ومتنوعة
٢٥. الوقوع في الورطة والضِّيق والانحصار.	٢٦ .الإضلال.	٢٧. التنجية.	٢٨. الترك
٢٩.العذاب.	٣٠.الصدود.	٣١. الإعراض.	٣٢.النجاة.
٣٣. التوكي.	٣٤.الإعماء عن الأمر.	٣٥. المبالغة.	٣٦. التفهيم.
٣٧.التفصيل.	٣٨. الغفلة عن الشيء	٣٩. الدفع.	٤٠.التبيين.
٤١.التكثير.	٤٢.التنويع.	٤٣.التكرير.	٤٤.قوة الاندفاع والابتعاد
٤٥.الترديد.	٤٦. التمييز.	٤٧.التوضيح.	٤٨.التعداد.

٤٩. الإجراء في جهات متعددة ومختلفة.	٥٠. التقرير.	٥١. التعبير.	٥٢. النقل.
٥٣. التغيير.	٥٤. تعداد النِّعَم أو النِّقَم.	٥٥. الإرسال.	٥٦. الزيادة.
٥٧. الاستمرار.	٥٨. طريق النجاة.	٥٩. القدرة علىٰ الفعل.	٦٠. الحفظ من العذاب.
٦١. الكشف والإيضاح	٦٢. الأحوال الهائلة.	٦٣. الحصول علىٰ الشيء.	٦٤. العدول عن الشيء.
٦٥. الْمَنْجَىٰ والمعْدِل	٦٦. التنبيه والتحذير.	٦٧. الخَلاص من الشيء	

هذه سبعةٌ وستون معنًى مشتركًا لمادة"صرف" بجميع تصريفاتها الواردة القرآن، وهي دلالات جديدة تطورتْ إليها هذه المادة، متفرّعةً عن الصيغ الاثنتَيْ عشرةَ المتقدمة في تصنيفها، ويلحظ عليها الآتي:

١. أنها مستنبطة من السياقات المقارنة لها في الآيات القرآنية التي وردت فيها، وقد تقدم شرح ذلك وبيانه في مكان وروده.

٢. هذه المعاني ليستْ سواءً، فبعضها معانٍ فرعيةٌ مستقلة، وبعضها من قبيل المجاز، وبعضها يُعدُّ من الأغراض التي ورد النص لها، وقد تقدم إيرادها من ضمنها، والسبب في ذلك أن الكلمة قد ترد لِمعنًىٰ هو نفسه المراد إبلاغه للمخاطبين، فهو غرضٌ مهدوف إليه، مع دلالة اللفظ عليه لغويًّا، مثل: التقرير والتنبيه والتحذير..ونحو ذلك مما تقدم، والرجوع إلىٰ أماكن ورود ذلك فيما تقدم من شرح الآيات القرآنية يكشف عن ذلك.

٣. ترتبط هذه المعاني كلها بالمعنىٰ المركزي(الجذري) لمادة "صرف" إما ارتباطًا مباشرًا قويًّا، مثل: التغيير والتبديل والرجوع والقلْب والترك...إلخ. وإما

ارتباطًا مفهومًا ضِمْنِيًّا، استنبطه المفسرون واللغويون بمعونة السياق وأغراض النص، كما تقدم.

٤. من يقرأ هذه الكلمات فقد لا يتبادر إلىٰ ذهنه شيء من التعالق والترابط فيما بين طائفة منها، ولكن من ينعم النظر في معانيها الدقيقة والأغراض التي سيقتْ لها يجد أنه توجد مشاكلة ومداخلة بين معانيها كلها، عن طريق ربطها بالمعنىٰ الجذري الأصلي لمادة "صرف"، وذلك يجعلها معانِيَ فرعية له، كما هو مقرر عند علماء الدلالة[1]؛ لأن الاتصال والترابط بين مدلولات الكلمة ــ ولو بأدنَىٰ ملابسة ــ يحصل من تعلقها بالمعنىٰ الأصلىٰ لتلك الكلمة، سواء أكان الاتصال قويًّا أو ضعيفًا[2].

٥. بعض هذه المعاني مستفاد من الصيغ الصرفية للكلمة، فهي معانٍ صرفيةٌ مضافة للمعنىٰ اللغوي الأصلي للكلمة، مثل: الْمَنْجَىٰ والْمَعْدِل، والخَلاص من الشيء، والوقوع في الورطة والضِّيق والانحصار..ونحو ذلك مما يُفهم من نفي "الْمَصْرِف" في سياقه الذي ورد فيه، وهو علىٰ صيغة اسم المكان، ولولا خشية التكرار لذكرتُ أمام كل معنىٰ الصيغ الصرفية التي استُفيدَ منها، ولكنّ ذلك قد تقدم في أثناء شرح الآيات، فثمَّ إيضاح لكل معنىٰ ومصدره من النص القرآني.

٦. عندما نعود إلىٰ المعاني اللغوية التي ذكرتها المعاجم لهذه المادة، ثم ننظر إلىٰ معانيها التي جدّتْ لها في القرآن الكريم، نجد أنه قد حصل اتساعٌ دلالِيٌّ لهذه المادة اللغوية، يُستدلّ عليه بارتباط معانيها الفرعية بالدلالة المركزية

---

١) انظر ـــ حول هذا المفهوم ـــ : نظرية علم الدلالة، صـ٢٨.

٢) انظر ـــ حول هذه الفكرة ـــ : فصول في الدلالة، صـ٣٣.

لكلمة"صرف" وبارتباط عامٍّ لهذه الكلمات في مدلولاتها في بعض السمات الخاصة بكل واحدة، وهي متشابكلة فيما بينها بمفاهيم يتصل بعضها ببعض في الذهن، وهذا من أهم سمات الاتساع الدلالي[1]، ومن أمثلته الترابط الدقيق بين مفاهيم: التقرير والتوضيح والتعداد، والتنويع والتقسيم، والبعث والقدرة والحفظ... ومنها ما يُعدُّ من قبيل المترادفات، مثل: التغيير مع التبديل والقلب، والفضل مع الزيادة والتكثير، والوعيد مع التخويف والتهديد، والدفع مع الصدّ والمنع..وهكذا. وهذا كله يدل علىٰ أنّ الجانب التطبيقي هو أهم مجال لإظهار معاني اللغة ودلالات ألفاظها، وقدرتها علىٰ التعبير عن المعاني.

٧. نستنبط هنا فائدة لغوية نراها في غاية الأهمية، وهي أن القرآن الكريم يمدُّ اللغة العربية بقدرة عالية علىٰ استعمال الكلمات للمعاني وفق الأغراض المطلوبة، وأنَّ الأبعاد الدلالية للمشتقات العربية علىٰ هذا القياس في الاستعمال لاحدود لها، بل تمتد بلا نهاية محددة؛ لأنها ترتبط بحاجة المنشئ للكلام، وأغراضه، وبأنظمة العربية وقوانينها التي تحميها من الانحراف، وهذا يعطيها مرونةً لا يمكن حدّها، بل إننا نستنتج من ذلك أنَّ هذا الإجراء ينفث الروح في اللغة العربية، ويجدد نشاطها وقوتها باستمرار ما دامت الحياة قائمة.

*** *** ***

١) انظر: فصول في الدلالة، صـ٩٩.

رابعاً: مادة "صرف" في الدراسات النحوية

مما شاع واصطُلِحَ عليه أن "النحو" إما أنْ يُراد به عمومُ علومِ العربية، وإما أن يُرادَ به الجانب التركيبي، وهو الجانب الذي يدرس الجُمَل النحوية، وهذا الأخير هو المتبادر إلىٰ الذهن عند الإطلاق؛ تغليبًا.

و"الصرف" و"الانصراف" و"التصريف" و"التصرُّف" مصطلحات تَرِد في الدراسات النحوية بكثرة، وكلها مشتقة من مادة "صرف" علىٰ ما تقدم بيانه وبسطه في التأصيل المعجمي، ولكن عُرْف أهل العربية خصص كل كلمة منها بنوع معيَّنٍ من المعالجات النحوية، فجعلوا بعضَها عَلَمًا علىٰ المعالجات التي تخصُّ ذوات الكَلِم، وجعلوا بعضَها عَلَمًا علىٰ الكلمات التي تقبل الإعراب بالحركات الثلاث مع التنوين، وهي الأسماء المتمكنة تمكُّنًا وافِيًا؛ لقبولها جميع التغييرات التي يوجبها الإعراب[1]، وبعضها للكلمات التي تقبل مطلق الانتقال من حالٍ إلىٰ أخرىٰ في الاستعمال، وسيأتي تفصيل هذا قريبًا إن شاء الله.

و كلُّ ذلك ينتمي إلىٰ عِلْمِ النحوِ بفهومه الشامل عند علماء النحو القدامىٰ، ومِنْ ثَمَّ قال الرضي الاستراباذي(٦٨٦ه): **"اعلم أنّ التصريف جزءٌ من أجزاء النحو بلا خِلافٍ من أهل الصناعة"**[2]، وكذلك يرىٰ المتأخرون في الدراسات النحوية الحديثة أن علم النحو بمفهومه الشامل يندرج فيه **"الصرف"**[3]، وأنه ذو مستوياتٍ رئيسة محددة، أحدها مستوىٰ دراسة"الكلمة" الذي يشمل جميع

---

١) انظر: ما لا ينصرف للزجاج، صـ٣.

٢) شرح شافية ابن الحاجب، ١/ ٦.

٣) انظر : نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة لمحمد طنطاوي صـ٢٤.

المعالجات الصرفية[1]، وأما من جهة التفصيل فقد تطوَّرتْ الدراسات النحوية، واستقل كلُّ قسم منها، حتىٰ صارَ عَلَمًا بنفسِه، ومن هنا كان "عِلْمُ الصرْف" عَلَمًا علىٰ فرْعٍ معين مستقلٍّ من جهة الاصطلاح عن علم النحو، وكان ذلك منذ ألف أبو عثمان المازني(٢٤٧هـ) كتابه في التصريف، وخصصه للمباحث الصرفية، وأخلىٰ منه المعالجات التركيبية وأحوال الإعراب، وجرىٰ علىٰ سننه جمع من العلماء فألفوا كتبًا في التصريف مستقلة، واستمرّ ذلك إلىٰ يومنَا هذا.

و"**التصريف**" في أصله مصدرٌ مطاوع لـ(تَصرَّف) المضعّف من (صَرَف) تقول: صَرَّفتُه فتصرّفَ تَصَرُّفًا؛ أيْ فقبِلَ الأثر،

وهو التصريف والتّصرُّف[2]، بمعنىٰ قَبِلَ أن يتصرَّف، كما أن "الانصراف" في أصله مطاوِعٌ لـ(صَرَف) [3] فوقعت التسمية والوصف بهما لمناسبة هذه المطاوَعة التي مصدرها قبول أثر الفعل"صَرَف" المشتق من مادة"صرف"، قال ابن جني: "ومعنىٰ (المطاوعة) أن تريد من الشيء أمرًا ما فتَبْلُغَه، إما بأن يفعل ما تريده إذا كان مما يصح منه الفعل، وإما أن يصير إلىٰ مثل حال الفاعل الذي يصح منه الفعل، وإن كان مما لا يصح منه الفعل. فأما ما يُطاوِع بأن يفعل هو فعلا بنفسه فنحو قولك: "أطلقته فانطلق، وصَرَفْتُه فانْصَرَف"، ألا ترىٰ أنه هو

---

١) انظر: جامع الدروس العربية للغلاييني صـ٩-١٠، المدخل إلىٰ علم اللغة ومناهج البحث اللغوي ص١٩٥، والتطبيق الصرفي للراجحي صـ٧-٨. ودراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح صـ٣٣٧.

٢) شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش، صـ١٩، واللباب في علل البناء للعكبري ٢/ ٢١٩.

٣) انظر: سيبويه ٤/ ٦٥-٦٦، والمقتضب ٢/ ١٠٢.

الذي فعل الانطلاق، والانصراف بنفسه، عند إرادتك إياهما منه، أو بعثك إياه عليهما"[1]

يريد أنّ ما تريده يحصل لك باستجابة المأمور الذي أمرتَه فطاوَعك وفعَل ما تريده، سواءٌ أكان الفاعل حقيقيًّا، كما مثَّل، أو مجازِيًّا كقطعته فانقطع وكسرتُه فانكسر، كما ذكر بعد ذلك.

*** *** ***

أ ــ "الصرْف" بمعنى"التصريف"

تقدم لنا بيان معنىٰ "الصرف" لغةً، وأنه تغيير مطلقٌ، يعمُّ جميع أنواع التغيير، كالتحويل والقلب والرد والزيادة والنقل، ونحو ذلك مما تقدم، ومن هذا المعنىٰ اللغوي انطلق النحويون فخصصوا مطلق "التغيير" بألفاظٍ مشتقة من مادة "صرف" الدالة علىٰ التغيير، فجعلوا كلمة"الصرْف" مصطلَحًا عِلْميًّا خاصًّا بشطرٍ من الدراسات النحوية، يتناول كلمات اللغة مفردة معزولةً عن التركيب، بإلحاق التغيير بألفاظ أصولها وذواتها؛ لأسبابٍ صوتيةٍ، أوْ لِتحصيل معانٍ مقصودة بذلك، وسَمّوْهُ "علم الصرْف" اعتبارًا بالأصل اللغوي، وهو خاصٌّ بالأسماء المتمكنة والأفعال المتصرِّفة[2].

وعلىٰ هذا يُعلم أن مصطلح "الصرْف" عامٌّ من جهة معناه اللغوي لجميع مباحث هذا النوع من الدراسات، بيدَ أنَّ جمهور النحويين القُدَامَىٰ درجوا علىٰ تسميته بـ(التصريف) وغَلَّبوا هذا اللفظ؛ لأن "التصريف" أصله من

---

١) المنصف ١/ ٧١-٧٢.

٢) انظر المفراح في شرح مراح الأرواح في التصريف، صـ٩، وشرح الملوكي في التصريف، صـ١٨-١٩.

مادة"صرف" كما تقدَّم، وهو في الأصل للدلالة علىٰ التكثير من الفعل، أيْ الزيادة في التغيير، فأصله أنه خاصٌّ باشتقاق الكلمات من الأصل، علىٰ ما تقدم في مبحث "مأخذ التصريف من الاشتقاق" نحو: صَرَفَ ــ تصرّف ــ يُصَرِّف ــ اصْرِف ـ صارِف ــ مصروف ــ مصرف ــ اصطرف ــ انصرف ــ منصرف ـ متصرَّف...إلخ. فهذا هو الاشتقاق من الأصل، وهو خاصٌّ في هذا الإجراء بأبنية "التصريف" وتغيير صيغة إلىٰ أخرىٰ[1]؛ لتوليد معانِيَ جديدة.

وبعضهم قصرَه علىٰ التغيير الذي يطرأ لأسبابٍ صوتية، يقتضيها النطق بالكلمات، وخصائص عناصرها الصوتية[2]، وبعضهم جعله عامًّا في كل تغيير يلحق المفردات خارج التركيب، أيْ لغير إعرابٍ ولا وقف، قال ابن السراج(٣١٦هـ) " سُمِّيَ تصريفًا لتصريف الكلمة الواحدة بأبنية مختلفة، وخصّوا به ما عرضَ في أصولِ الكلام وذواتها من التغيير، وهو ينقسم خمسة أقسامٍ: زيادة وإبدال وحذف، وتغيير بالحركة والسكون، وإدغام، والزيادةُ تكونُ علَىٰ ثلاثةِ أَضربٍ: زيادةٌ لمعنىً وزيادةٌ لإلحاقِ بناءٍ ببناءٍ وزيادةٌ فَقَطْ لا يرادُ بها شيءٌ مما تقدمَ"[3] ومثَّل للزيادة بنحو الصيغ المشتقة و التصغير وحروف المضارعة،والجموع، وجعل من التغيير جميع أنواع التصريف لاختلاف المعاني[4]، فجعله عامًّا.

---

١) انظر: ارتشاف الضرب، صـ١٥.

٢) انظر الممتع في التصريف، ١/ ٣١-٣٢.

٣) الأصول في النحو ٣/ ٢٣١. وانظر ارتشاف الضرب ص١٣.

٤) انظر مع السابق :الأصول ١/ ٤٣-٤٤.

وقال ابن جني: "التصريف: أن تجيء إلىٰ الكلمة الواحدة فتصرِّفها علىٰ وجوه شتىٰ"[1].ومثَّل لذلك بشيئين:

الأول: ما يُسمىٰ بالأبنية الصناعية التي تُصاغُ من اللفظ علىٰ وزن غيره، كصياغة نحو"جَعْفَر" من "ضَرَبَ" فتقول: ضَرْبَب، واصطلح النحويون علىٰ تسمية هذا النوع بـ"**مسائل التصريف**"[2] أو"**مسائل التمرين**"[3] قال الرضي(٦٨٦ه) : "وهو أنْ تبني من الكلمة بناءً لم تَبْنِه العرَبُ علىٰ وزن ما بَنْتْهُ، ثم تُعمِلُ في البناء الذي بنيته ما يقتضيه قياسُ كلامهم"[4] وصرّح سيبويه بأن هذا هو الذي يسميه النحويون: **التصريف**[5]

الثاني: الاشتقاق، وهو تفريع الكلمة إلىٰ مشتقاتها القياسية[6]، كصارف ومصروف ومصر...من "صرف" وقد تقدم ذلك وافيًا في مبحث "مأخذ التصريف من الاشتقاق".

وقال الأنباريُّ(٥٧٧هـ) رحمه الله:" اعلَمْ أنَّ التصريفَ: تصيير الكلمةِ في أبنية مختلفة؛ لأن تصريف الشيء تصييره في جهاتٍ مختلفة"[7] وظاهر هذا

---

١) المنصف، ١/ ٣

٢) انظر: المقتضب ١/ ٣٢، والأصول في النحو ٣/ ٣١٦

٣) شرح شافية ابن الحاجب للرضي، ١/ ٧

٤) السابق نفسه

٥) سيبويه ٤/ ٢٤٢، وانظر: المقتضب ١/ ١٧٢، وشرح شافية ابن الحاجب للرضي ١/ ٦-٧.

٦) انظر: انظر لهذا التقسيم: شرح الكافية الشافية ٤/ ٢٠١٢-٢٠١٣، وارتشاف الضرب، صـ١٥.

٧) الوجيز في علم التصريف، صـ٢٦.

كالذي ذكره ابن جني قبله، يعمُّ جميع أنواع التغيير؛ لأن تصيير الكلمة إلىٰ صورٍ مختلفة يعمّ الأبنية المشتقة وغيرَها، وتدخل فيه الصيغ الصناعية والسماعية، ويدخل فيه ما جيء به لِمعنًىٰ، وما كان طارئًا لغير معنىً مقصود، كما ذكر ابن السراج قبْل.

وقال القبيصي(حوالي:٦٣٠ه) : "التصريف أنْ تأتِي إلىٰ الكلمة الواحدة التي حروفها كلُّها أصولٌ، فتَتَصَرَّفَ فيها بزيادة أونُقصانٍ، أونَقْلٍ من زمانٍ إلىٰ زمانٍ"[1] قوله: "أو نقل من زمانٍ إلىٰ زمانٍ" يريد به تصريف الأفعال من الأصل وَفق أزمنتها: الماضي والمضارع والأمر، نحو: صَرَفَ يَصْرِف اصْرِفْ من مادة "صرف".

ولذلك قال ابن كيسان(٢٩٩هـ) رحمه الله: " الفعل يتصرَّف فيكون منه الماضي والمستقبل والمصدر واسم الفاعل واسم المفعول..."[2] فسمَّىٰ جميع المشتقات وأصولها تصريفًا.

فقد جعلوه خاصًّا بالأبنية، فإطلاقه علىٰ عموم مباحث علم "الصرْف" ــ كما يُفهم من تمثيل ابن السراج ــ يمكن عدُّه من باب تعميم الدلالة[3]، وهو ما يسمىٰ بإطلاق الجزء علىٰ الكل[4]، وتسميته بـ(الصرْف) عند قصره علىٰ الجانب

---

١) التتمة في التصريف، صـ٢٧-٢٨.

٢) الموفقي في النحو، صـ١٥.

٣) انظر للتفصيل في نحو هذا النوع من تعميم الدلالة: دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس صـ١٥٥.

٤) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٦٢-٢٦٩، والْمُطَوَّل للتفتازاني، صـ٥٧٦، وإسفار الصباح ٢/ ٦٥٢.

الاشتقاقي فقط يُعدّ من تخصيص الدلالة، وهو ما يسمىٰ بإطلاق الكل علىٰ الجزء[1].

ويرىٰ العلَّامة سعد الدين التفتازاني(٧٩١هـ) رحمه الله أنَّ النحويين آثَروا تسمية علم "الصرْف" تصريفًا مع أنه بمعناه؛ لكثرة التصرُّفات في هذا العلم، فاختاروا اللفظ الدالّ علىٰ التكثير والمبالغة، وهو"التصريف"[2] يريد أنهم عمّموا دلالة "التصريف" مع أنه خاصٌّ بالأبنية في أصله؛ لأن المعنىٰ اللغوي لهذه الصيغة يوافق الإجراءات العملية لهذا العلم، من جهة ما يكون فيه من كثرة التغييرات والتحويلات.

وهذا متجهٌ، ولكن لا دليل علىٰ أنهم أرادوا ذلك، ولذلك ذكرْتُ أنه من باب تعميم الدلالةِ بإطلاق الجزء علىٰ الكلّ، وهو قانونٌ في اللغة مشهور مُتْلَئِبّ[3].

والخلاصة أنَّ القُدَامَىٰ بِعامة، علىٰ هذا جرىٰ اصطلاحهم[4]، أعني تعميم مصطلح "التصريف" علىٰ المباحث الصرفية، وإن كان بعضهم قد خصَّ به الجانب العملي(التدريبي) وبعضهم جعله مع ذلك لِما كان التغيير فيه لتوليد المعاني، كما تقدم، ولذلك قد ناقش ناظر الجيش(٧٧٨ه) مقالاتهم في تحديد المراد **بالتصريف**، ثم انتهىٰ إلىٰ أنهم قد يُطلقونه شامِلا للجانبين اللفظي والمعنوي، أيْ ما كان التغيير فيه لأجل اللفظ فقط، وهو الجنب العملي العام،

---

١) انظر: البرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٦٢-٢٦٩، والْمُطَوَّل للتفتازاني، صـ٥٧٦، وإسفار الصباح ٢/ ٦٥٢.

٢) شرح التصريف مختصر التصريف العزي، صـ٢٨.

٣) انظر: الصاحبي ص٢٥١ وما بعدها، والبرهان في علوم القرآن ٢/ ٢٦٢-٢٦٩، والمزهر ١/ ٣٣٣.

٤) انظر أيضا: الممتع في التصريف١/ ٣١، وشرح شافية ابن الحاجب ١/ ٦-٧.

وما يكون لأجل المعنىٰ، وهو الجانب العلمي الخاص، وقد يقصرونه علىٰ أحدهما وهم مع ذلك يريدون الآخر[1].

نماذج من إطلاقاتهم لذلك في أثناء معالجتهم للمسائل:

١. قال سيبويه: "باب ما بنت العرب من الأسماء والصفات والأفعال غير المعتلة والمعتلة، وما قيس من المعتل الذي لا يتكلمون به ولم يجئ في كلامهم إلا نظيره من غير بابه، **وهو الذي يسميه النحويون التصريف** "[2] فقصره علىٰ الأوزان، ونسب ذلك لعامة والنحويين.

٢. وقال المبرد: "وَهَذِه حُدُود التصريف وَمَعْرِفَة أَقسامه، وَمَا يَقع فِيهِ من الْبَدَل والزوائد والحذف "[3] فسمىٰ التغييرات الصرفية كلها تصريفًا.

٣. وقال: " وإِنَّما نذْكر هَاهُنَا من الْهمزَة مَا يدْخل فِي **التصريف** اعْلَم أَنَّ الْهمزَة الَّتِي للاستفهام إِذا دخلت علىٰ أَلف وصل سَقَطت أَلف الْوَصْل لأَنَّه لَا أَصلَ لَهَا وإِنَّما أُتي بهَا لسكون مَا بعْدهَا فإِذا كَانَ قبلهَا كَلَام وصل بِهِ إِلىٰ الْحَرْف السَّاكِن سَقَطت الأَلف"[4] فعممه في مسائل الهمزة؛ لأنها من مسائل المفردات.

---

١) انظر تمهيد القواعد ١٠/ ٤٨٧٥-٤٨٧٦

٢) سيبويه ٤/ ٢٤٢.

٣) المقتضب ١/ ٣٥.

٤) المقتضب ١/ ١٦٣.

٤. وقال: "(هَذَا بَاب الْمسَائِل فِي التصريف، ممَّا اعتلَّ مِنْهُ مَوضِع الْعين:تَقول إِذا بنيت (فُوعِل) من (سِرْتُ): سُويرَ..."[١] فقصر "التصريف" هنا علىٰ المسائل التدريبية العملية، كما فعل سيبويه.

٥. وأَوْرَدَ مسائل باب الإبدال وسماها تصريفًا، نحو قولك : أتقىٰ وتراب..وأصلهما: أوقىٰ، ووراث، لأنهما من : وقي وورث[٢]. وسمَّىٰ مسائل النسب بالتصريف[٣]؛ لأنها من مسائل المفردات أيضًا.

٦. وأطلق ابن السراج مصطلح "التصريف" علىٰ جميع التغييرات اللاحقة بالأسماء والأفعال لأجل المعاني[٤]، استنادًا إلىٰ أنه مشمول بمفهوم "التغيير" في الكلمة، وهذا صحيح.

وقال عبد القاهر الجرجاني(٤٧١ه): " اعلمْ أنَّ التصريفَ "تَفْعيلٌ " مِنَ الصَّرْفِ، وهو أنْ تُصرِّفَ الكلمةَ الْمُفْرَدَةَ، فَتَتَوَلَّد منها أَلْفَاظ مُخْتَلِفَةٌ، ومعانٍ مُتَفَاوِتَة[٥]، فجعله عامًّا لِما يتولّد من الألفاظ لأجل المعنىٰ ولغير المعنىٰ، ولذلك نجده يتناول فيه التغييرات الصرفية بعامة.

٧. وجعله ابن مالك(٦٧٢هـ) ـــ رحمه الله ـــ عامًّا في التغييرات اللاحقة لأسباب تعود إلىٰ المعنىٰ أو إلىٰ اللفظ، فقال: "التصريف تحويل الكلمة من بِنْيَة إلىٰ غيرها لغرضٍ لفظي أو معنوي"[٦].

---

١) المقتضب ١/ ١٧٢

٢) المقتضب ٢/ ٣٢٠.

٣) المقتضب ٣/ ١٤٥.

٤) انظر الأصول في النحو ١/ ٤٣-٤٤.

٥) المفتاح في الصرف، صـ ٢٦.

٦) شرح الكافية الشافية ٤/ ٢٠١٢.

أما الدراسات النحوية الحديثة:

فقد ارتضىٰ جمهور أصحابها استعمال المصطلحين معًا؛ لِمُطلق المعالجات الخاصة بمفردات اللغة علىٰ مستوىٰ الأبنية والتغيّرات الطارئة، مما ليس ببناءٍ ولا إعرابٍ لدواعي المعنىٰ أو اللفظ، وكذلك ما يصف المفردة اللغوية في هيئتها ومكوناتها الصوتية من الصوامت والصوائت، وتصنيفات أقسامها وأزمنتها، فجعلوا مجاله أوسع، ينتظم مع ما سبق المعالجات الصوتية كلها[1]، وبعضهم ــ وهم قلة فيما اطلعت عليه ــ قد قصر "التصريف" علىٰ بعض التغييرات التي لا يقتضيها المعنىٰ[2]، كالحذف والإبدال والزيادة ونحوها، كما مرّ عند بعض القدامىٰ، بيد أنه قد غلب استعمال مصطلح "الصرف" في أكثر الدراسات الصرفية الحديثة، وغلب الاقتصار عليه في تسمية كثير من الكتب الخاصة بهذا النوع من الدراسات النحوية، **ومن أمثلة ذلك:**

١. كتاب "شذا العَرْف في فنِّ الصرف"للشيخ أحمد الحملاوي.

٢. كتاب "التطبيق الصرفي" للدكتور عبده الراجحي.

٣. كتاب "الصرف الوافي" لهادي نهر.

٤. كتاب "المغني الجديد في علم الصرف" للدكتور محمد حلواني.

٥. كتاب "الصرف التعليمي" للدكتور محمود سليمان ياقوت.

---

١) انظر: الصرف الوافي لهادي نهر ١١-١٢، والتطبيق الصرفي لعبده الراجحي ٧-٨، وجامع الدروس العربية للغلاييني صـ٩-١٠.

٢) ممن صرح باقتضار "التصريف" علىٰ هذا صاحب النحو الوافي، انظر منه : ٤/ ٧٤٧.

٦. كتاب "قسم الصرف" من كتاب "تهذيب التوضيح" لأحمد المراغي ومحمد سالم علي.

٧. كتاب "قسم الصرف" من تحقيق كتاب "شرح الرماني لكتاب سيبويه" للدكتور المتولي رمضان الدميري، هكذا سماه وطبعه مستقلا عن قسم النحو.

هذه أمثلة قليلة، ولكني أراها كافية للتدليل علىٰ شيوع مصطلح " الصرف" عند المحدثين في تآليفهم.

*** *** ***

ب ــ "الصرف" بمعنى "الانصراف"

إذا كان الاسم مما يُعرَبُ بالحركات الثلاث مع التنوين، فإنه يُمَيَّزُ في الدرس النحويّ بأنه "مصروف" و"مُنْصَرِفٌ" والمرادُ أنه قابلٌ لـ"الصرْف"و"الانصراف"، وسُمِّيَ بــ(ماينصرف) وما سواه بــ(ما لا ينصرف) وعقدوا لهذا النوع بابًا من أبواب الإعراب سمَّوهُ بِـ(باب ما ينصرفُ وما لاينصرِف)[1] فمصطلح "الصَّرْف" هنا مرادف لــ"الانصراف" وجاءتْ هذه التسميةُ من قِبَل قبول الكلمة للانتقال من حالٍ مخصوصةٍ إلىٰ أُخرىٰ، والحال المنتَقَلُ إليها هي الإعراب بعلامةِ الجرّ الأصلية، وقبول التنوين مع العلامات الثلاث، فكأنهم نظروا إلىٰ أنَّ الاسم هنا انتقل من حالِ عدَم هذا الإجراء إلىٰ هذا الإجراء، ولذلك نعتوا الاسم المنصرِف بالمتُمَكِّن الأَمْكَن، أيْ التامّ التمكّن، ويعنون بتمام التمكُّن بُعْدَه عن شَبَه الفعلِ بامتناعه مما يمتنع منه الفعل، وهو الجر والتنوين، كما هو مفصَّلٌ فيما يلي.

---

١) انظر: سيبويه ٣/ ١٩٣، والمقتضب ٣/ ٣١٩، وعنوان كتاب الزجاج: "ما ينصرف وما لاينصرف"

قال الخليل رحمه الله: "وصَرْفُ الكلمة: إجراؤها بالتنوين"[1]، وقال سيبويه: "باب **ما يَنصرفُ** من الأمثلة و**ما لا يَنْصرِف**، تقول: كل (أفْعَل) يكون وصفًا لا **تَصرفه** في معرفة ولا نكرة، وكل (أفْعَل) يكون اسمـًا **تَصْرِفُه** في النكرة. قلت: فكيف **تصرفه** وقد قلت: **لا تصرفه**.."[2] فاستعمل "الصرف" مرادفًا لـ"الانصراف".

وقد يُطلقون عليه: "**ما يَجْرِي ومالا يَجْرِي**" قال المبرد: "هَذَا بَاب مَا يجرىٰ وَمَا لَا يجْرِي ....اعْلَم أَن التَّنْوِين فىٰ الأَصْل للأسماء كلِّهَا عَلامَة فاصلة بَينهَا وَبَين غَيرهَا، وَأَنه لَيْسَ للسَّائِل أَن يسْأَل: لم **انْصَرف** الِاسْم؟ فَإِنَّمَا الْمَسْأَلَة عَمَّا **لم ينْصَرف**: مَا الْمَانِع لَهُ من **الصّرْف**؟.... اعْلَم أَن كل **مَا لَا ينْصَرف** مضارَعٌ بِهِ الْفِعْل، وَإِنَّمَا تَأْوِيل قَوْلِنَا: لَا ينْصَرف، أىٰ: لَا يدْخلهُ خفض وَلَا تَنْوِين لِأَن الْأَفْعَال لَا تنخفض وَلَا تنون"[3]

وفسره الزجاج(٣١١هـ) بالتمام، ثم قال: "ومعنىٰ التمام أن يدخله مع الرفع والنصب والخفض، ومع الحركات التنوين"[4] وأوضح ذلك أبو الحسن الباقولي(٥٤٣هـ) فقال:"اعلم أن الأصل في الأسماء **الصرف**، وذلك لأنها متمكنة، فلتمكنها استحقت **الصرف**...والمقصود **بمنع الصرف** إنما هو التنوين

---

١) العين، ٧/ ١٠٩

٢) سيبويه ٣/ ٢٠٣.

٣) المقتضب ٣/ ٣٠٩. وانظر سيبويه ١/ ٢٦. و٣/ ١٩٨، ٣٠٠.

٤) ما لاينصرف، صـ٣.

فقط، ولكن إذا لم يدخل التنوين فيما **لا ينصرف** فإن الجر أيضا لا يدخله تبعًا للتنوين"[1].

فإذا اجتمع في الاسم الرفع والنصب والجر والتنوين، دل ذلك علىٰ تقلُّبِه في أحوال وجهاتٍ مختلفة، وتقدم أنَّ هذا التقلُّبُ والتَّحَوُّلُ هو حقيقة معنىٰ **"الصرف"** لغةً، ومن ثمَّ قال العكبري (٦١٦ه) : **"الصّرْف** من التَّصَرُّف، وَهُوَ التقلب فِي الْجِهَات، وبالجر يزْدَاد تقلبُ الِاسْم فِي الْإِعْرَاب فَكَانَ من الصّرْف، وغير المنصرف مَا لَا يدْخلهُ الْجَرّ مَعَ التَّنْوِين"[2] ثم بيّنَ أن قصر "الصرف" علىٰ هذا النوع من التقلب والتصرُّف اصطلاحٌ للنحويين، وأما تقلُّب الأفعال بالاشتقاق فليس صَرْفًا عندهم، وإنما هو تصرُّفٌ وتصريفٌ، وكذلك تقلب الكلمة بين الرفع والنصب، ليس صَرْفًا[3].

وما ذكره العكبري رحمه الله يدلك علىٰ أنَّ تسمية "ما ينصرف وما لا ينصرف" بهذا الاسم ما هو إلا تخصيصٌ للدلالة بالعُرْف، وتقييد لمطلق معنىٰ "الصرْف" لأجل ضبط العلْم وتحديد قواعده، وهو من تسمية الشيء ببعض مايجري له، أو ببعض سماته أو ما يتصل به، وهو من سنن العربية[4]،وقد تقدم.

---

١) شرح اللمع للأصفهاني ٢/ ٦٩٠

٢) مسائل خلافية في النحو صـ١٠٥ .(بتصرف).

٣) انظر السابق نفسه.

٤) انظر: نتائج الفكر في النحو صـ٤٩

والشاهد من كلامهم أنهم استعملوا مصطلح "الصرف" مرادِفًا لـ"الانصراف"[1]وتبعهم النحويون من بعدهم في هذا، غيرَ أن مصطلح "الإجراء" لم يستمر عند المتأخرين، وأنهم اصطحبوا الدلالة اللغوية لهذه المادة؛ فاشتقوا منها هذين المصطلحين المترادفين استعمالًا، فصارَا من امتدادات معانيها، وكان هذا من التطوّر الدلالي لهذه الكلمة علىٰ مستوىٰ الدرس النحوي خاصة.

*** *** ***

ج ــ إطلاق "التَّصرُّف" على عموم التغيير لفظًا ومعنًى واستعمالا

من الألفاظ المشتقة من مادة "صرف" مصدر "صرَّف" المضعّف، كما تقدّم، وقد اشتهر عند كثير من دارسي النحو أن المراد بالتصرّف عدم الجمود خاصة، وهو قبول الاشتقاق، أيْ اشتقاق الأبنية من أصلٍ من الأصول، فضيَّقوا الدلالةَ وحصروها في هذا الإجراء!

ولكن المطلع في تراث النحو العربي يجد أن "التصرُّف" عند النحويين يطلق علىٰ كل تغيير طارئٍ، ولم يخصوا بذلك نوعًا معينًا من التغييرات، فكل كلمة تقبل الانتقال من إعرابٍ إلىٰ آخر، فهي متصرِّفة بهذا المعنىٰ خاصةً، وكذلك كل كلمة تقبل الانتقال من وزن إلىٰ آخر، أو تقبل إلحاق اللواصق بها، أو تقبل

---

١) وانظر أيضا: الأصول لابن السراج ٢/ ٧٩. واللمع في العربية لابن جني ٢٠٩ . وقال سيبويه في ٣/ ١٩٤" فنحو: أفكلٍ، وأزملٍ، وأيدعٍ، وأربعٍ، لا تنصرف في المعرفة، لأنَّ المعارف أثقل، وانصرفت في النكرة لبعدها من الأفعال، وتركوا صرفها في المعرفة حيث أشبهت الفعل، لثقل المعرفة عندهم".

الاشتقاق، أو تقبل الانتقال من معنىٰ إلىٰ آخر، أو يكثر استعمالها قياسًا بنظائرها، ونحو ذلك من أنواع التغيير اللفظي والمعنوي والاستعمالي، وهذا يُعدُّ أوسع استعمالات فروع مادة "صرف" في الدرس النحوي.

وقد تقدمتْ مجموعة من الأمثلة علىٰ ذلك في الدراستين: المعجمية، والقرآنية، كإطلاق "صَرْفِ الكلامِ" علىٰ التصرُّف فيه بالتغيير والتحسين والتزيين للتأثير(١)، ومنه دلالات مشتقات "تصَرّف" المتقدمة في القرآن الكريم.

قال سيبويه: " هذا بابٌ أيضًا من المصادر يَنتصب، بإضمار الفعل المتروك إظهارُه،ولكنَّها مصادرُ وُضعَتْ موضعًا واحدًا **لا تَتصرَّفُ** فىٰ الكلام **تصرُّفَ** ما ذكرنا من المصادر، **وتصرُّفُها** أنّها تَقَعُ فىٰ موضع الجرِّ والرفع وتدخلُها الألفُ واللام، وذلك قولك: سُبْحانَ اللهِ، ومَعاذَ اللهِ ورَيْحانَه، وعَمْرَك الله إلاّ فعلتَ " وقِعدَك الله إلاَّ فعلتَ "، كأَنّه حيث قال: سُبْحانَ اللهِ قال: تسبيحًا، وحيث قال: وريحانَه قال: واستِرْزاقًا؛ لأنَّ معنىٰ الرَّيْحانِ الرَّزْقُ"(٢).

فقد جعل قبول الكلمة لأنواع الإعراب والألف واللام تصَرُّفًا، وجعل ما لا يقبل منها ذلك غيرَ متصرِّف، وهذا مأخوذ من المعنىٰ الجذري لمادة"صرف" وهو الانتقال من حال إلىٰ حال، وهذه المصادر معربةٌ ولكنها لاتقبل من الإعراب إلا النصب، ولاتقبل التنوين ولا الألف واللام، فهي نظير "ما لا ينصرف" المتقدم، في نقصان إعرابها، غير أن "ما لا ينصرف" يدخله نوعان من

---

١) مقاييس اللغة صـ٥٦٦.

٢) سيبويه ١/ ٣٢٢.

الإعراب: الرفع والنصب، فهو أقوىٰ تصرُّفًا من هذه المصادر التي لا تقبل إلا النصب.

وفرَّق أبو سعيد السيرافي(٣٦٨هـ) بين "التصرُّف" و"الانصراف" في كلمة "سَحَر" إذا أردتَ بها سَحَر يومك، فإن ذلك يجعلها عَلَمًا عليها فتعرَّفتْ بالعلمية، والعدل عن الألف واللام، ثم ذكر أنها غير منصرفة ولا متصرِّفة، قال: " فأما قولنا (غير منصرف) فالذي منعه من الصرف أنه معدول عن الألف واللام، وهو معرفة، فاجتمع فيه التعريف والعدل، فلم ينصرف، وأما قولنا: إنه لا يتصرف فمعناه أنه لا يدخله الرفع والجر، وربما دخله الجر، ولا يكون إلا منصوبًا علىٰ الظرف، وكذا كل ظرف غير متصرف، فمعناه أنه لا يدخله الرفع الجر، وربما دخله الجر بـ(مِن) فقط من بين حروف الجر"[١]

وهذا الذي ذكره السيرافي هو المطرد عند سائر النحويين، وهو استعمالهم لمصطلح "التصرُّف" المطلق، بمعنىٰ قبول جميع أنواع التغييرات، وعدم "التصرُّف" بمعنىٰ نقصان الكلمة عن سائر بنات جنسها في قبول التغييرات، ولذلك نجدهم يقولون في نحو: "عند، ولدىٰ، ودون، وذات مرة، وبكرة، وعشية..."وأمثالها إنها ظروف غير متصرِّفة؛ لأنها لا تقبل من الإعراب إلا النصب، والجرّ بـ(مِنْ) خاصة[٢]، ولذلك قال المرادي(٧٤٩ه):" وإنما يثبت

---

١) شرح كتاب سيبويه ٢/ ١١٩، وانظر شرح الكافية الشافية ٣/ ١٤٨١، وشرح الأشموني علىٰ الألفية ١/ ٤٨٩.

٢) انظر المقتضب ٤/ ٣٥٣، ٣٢٨، ونتائج الفكر صـ٢٨٩،و شرح الكافية الشافية ٢/ ٦٧٨.

تصرف الظرف بالإخبار عنه والجر بغير (مِن) ــ في الاختيارــ لأن (مِن) كثرت زيادتها فلم يعتد بها"[1]

وكل ما دلَّ علىٰ مكانٍ أو زمانٍ فهو ظرف، ولكن ما قد يفارق الظرفية منه يُسمىٰ متصرِّفًا، وما لا يفارقها غير متصرّف، قال ابن عقيل(٧٦٩هـ) : "ينقسم اسم الزمان واسم المكان إلىٰ: متصرف وغير متصرف فالمتصرف من ظرف الزمان أو المكان: ما استعمل ظرفًا وغير ظرف كـ"يوم" و"مكان"[2]

وإذا تصرّفت الكلمة تصرُّفًا كاملًا انصرفتْ؛ لأن سبب عدم التصرُّف هو الذي أدىٰ إلىٰ عدم الصرف[3].

ونصَّ سيبويه علىٰ أن "حَنانَيْك" وبابه ــ كسعديك ولبيك ... ــ لا يتصرف، كما لم يتصرَّف "سبحان" وبابه[4]، وشرحه السيرافي فقال: "وهذا المثنىٰ كله غير متصرف، ومعنىٰ قولنا (غير متصرف) أن لا يكونُ إلا مصدرًا منصوبًا أو اسمًا في موضع الحال... فلم يتصرّفوا فيه وبعضه يُوَحّد فيتصرّف[5]، كما قال تعالىٰ:﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴾ [6] يريد أنَّ وصفه بعدم التصرف جاء مِن قِبَلِ كونه ملازمًا للتثنية، فجعلوا لزومه لبناء المثنىٰ عدم

---

١) توضيح المقاصد والمسالك ٢/ ٦٦١.

٢) شرح ابن عقيل الألفية ٢/ ١٩٨.

٣) انظر: شرح الكافية الشافية ٣/ ١٤٨١

٤) سيبويه ١/ ٣٤٨.

٥) شرح كتاب سيبويه ٢/ ٢٣٧.

٦) سورة مريم: ١٣.

تصرُّف، كما جعلوا لزوم (سبحانَ) وبابه للنصب عدمَ تصرّف، فدل ذلك علىٰ أنّ كل شيء لا يقبل التحوّل والتغيُّر ولو جزئيّا فهو غير متصرف، أو ناقص التصرف.

وأوْرَدَ أيْضًا أخوات"ظنَّ" فقال: "هي ظننت، وحَسِبتُ، وخِلتُ، وأُريتُ ورأَيتُ، وزعمتُ، وما يتصرفّ من أفعالهن"[1] يريد بـــ(ما تصرَّف منهن) أسماء الفاعلين والمفعولين والمصادر والمضارع والأمر، وسائر المشتقات، فسمىٰ قبول الكلمة بناء الصيغ منها تصرُّفًا، وهذا نظير ما تقدم في الظروف.

وذكر في (رُوَيْدَ) و(دونَ) أنهما غير متصرِّفتين[2]؛ لأنهما لا تضافان إلا إلىٰ مخاطب، يقال: رُوَيدَكَ زيدًا، ودونك عَمْرًا، ولا يُقال: رويدَه، ولا دونَه، فهذا هو عدم تصرُّفهما. وكذا "طُرًّا وقاطِبَةً" لايتصرَّفان؛ لأنهما يلزمان النصب والتنوين باستمرار[3].

وقال المبرد(٢٨٥ه) : "فعل التَّعَجُّب وَهُوَ غير متصرف؛ لِأَنَّهُ وَقع لِمَعْنىٰ، فَمَتَىٰ صرف زَالَ الْمَعْنىٰ وَكَذَلِكَ كل شئ دخله معنىٰ من غير أَصله علىٰ لفظ فَهُوَ يلْزم ذَلِك اللَّفْظ لذَلِك الْمَعْنىٰ، وَهُوَ قَوْلك: مَا أحسن زيدا؛ وَمَا أظرف أَخَاك.."[4] وزاد ذلك إيضاحًا فقال: " كل مَا لزمَه شَيْء علىٰ معنىٰ لم يتَصَرَّف لِأَنَّهُ إِن تصرف بَطل ذَلِك الْمَعْنىٰ وَصَارَ بِمَنْزِلَة الْأَفْعَال الَّتِي تجْرِي علىٰ أُصُولهَا

---

١) سيبويه ١/ ١١٨.

٢) انظر سيبويه ١/ ٢٥٠.

٣) انظر سيبويه ١/ ٣٧٦.

٤) المقتضب ٣/ ١٩٠١.

وَلم يدخلهَا من الْمَعْنىٰ أَكثر من ذَلِك"[1] يريد بهذا نحو "أفعل" في التعجب، فإنه استُعمل لمعنىٰ التعجب، فأبْقِي علىٰ صورة لفظية واحدةٍ، تقارِن ذلك المعنىٰ في أسلوبه المصطلح عليه، فصار بذلك غير متصرِّف[2].

وعدم تصرُّفه هو المانع من إعلاله في نحو: ما أبْيَعَه، وما أخْوَفَه..ولولا ذلك لقيل: ما أباعه وما أخافه[3].

وذكر أن عامل الحال إن كان غير فعْلٍ فإن الحال لاتتقدم عليه، فلا يقال مثلا: قائمًا في الدار زيدٌ.. قال: "لما أخرت الْعَامِل وَلم يكن فعلا لم يتَصَرَّف تصرف الْفِعْل فينصب مَا قبله"[4] فأفاد أن عمل الفعل متقدمًا ومتوسطًا ومتأخرًا تصَرُّفٌ، وكل عامل لا يعمل متقدمًا فإنه غير متصرِّفٍ، وكذا يُقال في كل ما جاز التصرف فيه بالتقديم والتأخير ونحوهما[5]، فدل ذلك أن مطلق قبول التغيير في الاستعمال اللغوي يسمىٰ تصرّفًا، ونقصانه يسمىٰ عدم تصرُّف، وعلىٰ هذا جرىٰ النحويون من بعدهم.

وللفعل نوعٌ آخر من **التصرُّف** وهو أن يُبنىٰ منه ـــ علىٰ مذهب الكوفيين ـــ الماضي والمستقبل، واسم الفاعل، واسم المفعول...وسائر المشتقات[6].

---

١) المقتضب ٤/ ١٧٥.

٢) انظر أيضا: الأصول في النحو لابن السراج ١/ ٩٨

٣) انظر سيبويه ٤/ ٣٥٠.

٤) المقتضب ٤/ ٣٠٠.

٥) انظر: الخصائص ١/ ٣٦

٦) الموفقي في النحو صـ١٥.

وذكر ابن كيسان أقسام معاني الكلام، ثم قال: "والخبَرُ أكثرُها تَصَرُّفًا"[1] يريد أن الخبرَ أكثر دورانًا واستعمالا في اللغة من الدعاء والاستخبار والطلب(الأمر والنهي) **فسمىٰ كثرة الاستعمال تصرُّفًا**.

وهكذا نجد أن النحويين يُطلقون مصطلح "التصرُّف" علىٰ كل تغيير، قلّ أو كَثُر، حتىٰ إنهم أحيانًا يطلقونه علىٰ الجامد الذي يعرض له الحذف أو الانتقال من معنىٰ إلىٰ آخر[2]، وصرّح أبو البقاء العُكبَري(٦١٦هـ) بأن الحذفَ تصرُّفٌ[3].

وإلحاق ضمائر الرفع بالفعل الجامد يجعل له نوْعًا من التصرُّف، يتميز به عن الجامد الذي لا يقبل ذلك، مثال ذلك: قبول الفعل **"ليس"** لضمائر الرفع، نحو: لستُ ـ لستم ـ ليسوا ـ لَيْسَا ـ لستُنَّ.. فهذا تصرُّفٌ ما، وكذا في استتار الضمير فيه إذا قلتَ: "زيدٌ ليس مسافرًا" وفي امتناعه من اشتقاق المضارع والأمر وسائر المشتقات دلالةٌ علىٰ منعه من التصرُّف، فيلحق بـــ"نِعْمَ وبئسَ وحبذا" من هذا الوجه[4]، وإنما سُمي ذلك تصرُّفًا لأنه يُعد انتقالا من صورةٍ إلىٰ أخرىٰ، وتَغَيُّرًا من شَكْلٍ إلىٰ آخر.

وقد أشار ابن جني إلىٰ أن امتناعهم من التصرُّف في هذه الأفعال الجامدة الحكمة فيه راجعة إلىٰ المعنىٰ، وذلك أنهم أراد المبالغة في تأكيد معاني هذه

---

١) الموفقي في النحو صـ٩.

٢) انظر المغني صـ٨٣٦.

٣) اللباب في علل البناء، ١/ ٣٦٨.

٤) انظر المقتضب ٤/ ٨٧، واللامات للزجاجي صـ٣٤، وعلل النحو للوراق صـ٢٤٥، واللباب في علل البناء ١/ ١٦٥.

الأفعال وتثبيتها، وقصدوا إلىٰ الشدةِ في طلب دلالاتها[1]، وهذا يدل علىٰ أن "التصرُّف" في اللفظ تابع لـ"التصرّف" في المعنىٰ، وهو متجه؛ لأن المعنىٰ هو الأصل الذي جيء باللفظ لأدائه وتحقيقه، ووجه التأكيد فيها أنّ كل من سمع فِعلًا من هذا الأفعال لن يتبادر إلىٰ ذهنه غير المعنىٰ الذي أُنْشِئَ بها لزومًا، فاقترانها به مطلقًا يعدُّ نوعًا من التوكيد والقوة في الدلالة عليه.

والخُلاصة أنَّ مصطلح "التصرُّف" في الدرس النحوي قد استُعمِل استعمالًا واسعًا، شامِلا لجميع التغيُّرات والإجراءات السياقية اللفظية والمعنوية، وقد تجاوز "التصريف" و"الاشتقاق" فاستُعمل فيهما وفي غيرهما[2]، و"عدم التصرُّف" من جهة معناه اللغوي الأصلي يرادُ به **الجمود**، ولكن من جهة دلالته في الاستعمال نجده موسومًا به كل شيء فيه أدنىٰ ملابسة للجمود، ولو في بعض استعمالاته، أو بعض جهاتِ وروده[3]كما ورد في الأمثلة والنقول المتقدمة.

*** *** ***

د ــ "الصَّرْف" عامِلًا نحوِيًّا عند الكوفِيِّين

ذهب جمهور الكوفيين إلىٰ إطلاق كلمة "الصَّرْف" مصطلَحًا نحوِيًّا علىٰ عامل النصب في الفعل المضارع المعطوف في سياق طلبٍ أوْ نفي، مصطحبين الدلالة اللغوية لهذه الكلمة، ولذلك جعلوه مرادفًا لـ(الخِلاف) وهو في اللغةِ مخالفة الشيء لغيره مطلقًا، فكأنهم نظروا إلىٰ أن المعطوف خالَفَ المعطوف

---

١) انظر المنصف ١/ ٢٤١.

٢) انظر مثلا: الأصول في النحو: ١/ ٨٣،٩٨،١١١، واللامات ٣٥، وعلل النحو للوراق صـ٤٤١، والمنصف ١/ ٢٤١.

٣) انظر مثلا: الأصول في النحو: ١/ ٢١٢، والخصائص ١/ ٥٣، و٣/ ٢٤٧.

عليه في المعنىٰ، وانصرَف عنه، فجعلوا هذا الانصراف علامةً موجِبةً للنصبِ، وسمَّوْه "صَرْفًا"، ويكون ذلك بعد واو المعية وفاء السببية وأَوْ وثُمَّ، وأما البصريون فيرون أنَّ النصب حاصل بـ(أنْ) المضمرة بعد هذه الحروف، نحو: لاتكذبْ فتُعاقَبَ، وهل تزورني وأكرِمَك؟ ولا تتعلمُ وتندمَ..

وقد تكررت هذه التسمية في كتبهم في تعليل هذا النوع من النصب، وشرحوه بنحوٍ مما ذكرته، وقيل إنّ أولَ من اخترعه الفراء(٢٠٧ه) رحمه الله[١]، وسأورِدُ طائفةً من أقوالهم في تفسيره وإطلاقه للتدليل علىٰ ذلك:

قال الفراء: "فإن قلتَ: وما الصرف؟قلت: أن تأتي بالواو معطوفةً علىٰ كلامٍ فيٰ أوّله حادثة لا تستقيم إعادتُها علىٰ ما عُطِف عليها، فإذا كان كذلك فهو الصَّرْفُ، كقول الشاعر

لا تَنْهَ عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فَعلتَ عظِيمُ[٢]

ألا ترىٰ أنه لا يجوز إعادة (لا) فِي (تأتي مثله) فلذلك سُمّي **صَرْفًا** إذْ كان مَعطوفًا ولم يستقم أن يُعاد فِيهِ الحادث الَّذِي قبله"[٣] وقال أيضًا: "**والصَّرْفُ** أن

---

١) انظر مصطلحات النحو الكوفي صـ١٠٥-١٠٩.

٢) بيت من الكامل، نُسب لعدة شعراء، منهم أبو الأسود الدؤلي، وحسان، والأخطل، والمتوكل الليثي، وسابق البربري، وغيرهم، انظر: ديوان سابق صـ١٢٥، وسيبويه ٣/ ٤٢، والمقتضب ٢/ ٢٥، والجنىٰ الداني ص١٥٧.

٣) معاني القرآن للفراء ١/ ٣٣-٣٤

يجتمع الفعلان بالواو أو ثُمَّ أو الفاء أو أو، وفي أوله جحد أو استفهام، ثُمَّ ترىٰ ذلك الجحدَ أو الاستفهام ممتنعًا أن يكرَّ فِي العطف، فذلك الصرف"[1].

٢ـ وقال ابن كيسان: "وينصبُ بالواوِ وثُمَّ وأَوْ علىٰ الصرْفِ"[2] فجعل "الصرف" سببًا للنصب بعد حروف العطف، وجعل حرف العطف هو الناصب، وبيانُ ذلك أن "الصرف" معنىً ناشئٌ بعطف شيءٍ علىٰ مخالفه، فسببه هو حرف العطف، فصار النصب مُسَبَّبًا عن العاطف الذي هو سبب الصرف، فاتجه لذلك أن يُقال إن حرف العطف هو الناصب؛ لأنه سبب الصرف، ومَن قال إن الصرف هو الناصب فقد اعتبَرَ الْمُسَبَّبَ دون السبب.

٣ـ وقال الطبري: "وَالصَّرْفُ أَنْ يَجْتَمِعَ فِعْلَانِ بِبَعْضِ حُرُوفِ النَّسَقِ، وَفِي أَوَّلِهِ مَا لَا يَحْسُنُ إِعَادَتُهُ مَعَ حَرْفِ النَّسَقِ، فَيُنْصَبُ الَّذِي بَعْدَ حَرْفِ الْعَطْفِ عَلَىٰ الصَّرْفِ؛ لِأَنَّهُ مَصْرُوفٌ عَنْ مَعْنَىٰ الْأَوَّلِ، وَلَكِنْ يَكُونُ مَعَ جَحْدٍ أَوِ اسْتِفْهَامٍ أَوْ نَهْيٍ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، وَذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ: لَا يَسَعُنِي شَيْءٌ وَيَضِيقَ عَنْكَ"[3] يريد أن معنىٰ "لا يسعني" النفي. ومعنىٰ " ويضيق عنك" الإثبات، فقد انصرَف معنىٰ الثاني عن الأول، مع أن الأصل في حرف العطف أن يجمع بين المعطوفات في المعنىٰ، ولكن هاهنا وقع العكس، ولذلك سمَّوْه صَرْفًا، ولاشك في هذه الحال أنَّ قرينة النصب هي حرف العطف بمعية هذا المعنىٰ الذي هو الصرف، كما يفهم من كلام ابن كيسان المتقدم.

---

١) السابق ١/ ٢٣٥.

٢) الموفقي في النحو صـ٩.

٣) تفسير الطبري ٤/ ٧١.

٤ـ وقال ابن السراج: " وهذا النصب يسميهِ الكوفيونَ الصرف؛ لأنَّهم صرفوه عن النسقِ إلىٰ معنىٰ غيره"[١] ونصَّ علىٰ مثل ذلك معاصره أبو إسحاق الزجاج[٢]، وكذلك أبو منصور الأزهري[٣].

٥ـ وقال العوْتَبي(القرن٥هـ) مُعرِّفًا الصرف:"وهو أن يُصرف الكلام بواوٍ أو فاءٍ أو ثُمَّ عن وجه النسَق والجواب فينصب الفعل"[٤] هكذا أطلقوا هذا المصطلح بهذا المفهوم، وهو بهذا خاصٌّ بالتركيب، وحكمٍ من أحكامه الإعرابية.

ولا ريب أنَّ هذا نوعٌ من تخصيص الدلالة ــ أيضًا ــ وهو إطلاق هذه الكلمة علىٰ بعضٍ مما يصدق علىٰ معناها اللغوي المركزي العام، فالكلمة التي أُريدَ بها من حيث المعنىٰ خلافُ ما عُطِفَتْ عليه، تكون بذلك قد قُلِبَتْ عنه ورجعَتْ وتحوَّلَتْ إلىٰ حالٍ أخرىٰ من المعنىٰ، ومِنْ ثَمَّ حقَّ أن يقال عنها إنها قد صُرِفَتْ عما قبلها؛ لأن هذا هو حقيقة معنىٰ "الصرف" كما تقدم.

ونخلص إلىٰ أنَّ مفردة "الصَّرْف" ــ وما اشتق منها ــ في الدراسات النحويةِ قد تُوسِّع فيها، وامتدّتْ دلالاتها علىٰ المستوىٰ اللغوي الخاص، وعلىٰ المستويات التطبيقية والنظرية، فُجُعِلَت منها مصطلحاتٌ لأنواع من الإجراءات الدراسية علىٰ مستوىٰ المفردات وعلىٰ مستوىٰ التركيب وما يتصل بهما، في إطار الوصف

---

١) الأصول في النحو ٢/ ١٨٩.

٢) معاني القرآن وإعرابه ١/ ٢٥٨.

٣) معاني القراءات للأزهري ١/ ٣٤٩، ٢/ ٣٥٧.

٤) الإبانة في اللغة العربية للعوتبي ٣/ ٣٥١.(بتصرف يسير)

النحوي الشامل، واستُعملت علىٰ مستوىٰ بالغ الدقة مصطلحًا لا يحدده إلا السياق، وأحيانًا لا يحدده بالسياق إلا متخصص ماهر في هذا الفنّ، نحو: ممنوع من الصرف، ولا ينصرف، ولا يتصرَّف، ومصروف، ومتصرِّف، ومنصوب علىٰ الصرف، وليس من التصريف، وجزء من التصريف، وهو منصرف، وهذا صَرْفٌ...ونحو ذلك مما تقدم.

ومرّ بنا أيضًا أن مصطلح "الصرْف" ومشتقاته في الدراسات النحوية قد أُطلِقَ في الكلمات المفردة، والكلام المركب، والأجزاء الصوتية، والجمل التامة، وفي تنسيق العبارات، وأُطلِق في المعاني، وطُرُق الاستعمال وكيفياته، وفي الأحكام الإعرابية، والأزمنة، والأبنية، والحذف، والزيادة، ونحو ذلك.

وهذا يؤكد لنا ما تقدم في صدر هذه الدراسة من أنَّ مفردة "الصرف" تُعَدُّ من المشترك اللفظي الواسع، علىٰ المستوىٰ اللغوي، والاستعمالي، والاصطلاحي في الدرس النحوي.

*** *** ***

خامساً: الخاتمة والنتائج

تتبعت هذه الدراسة مادة "صَرف" اللغوية، فاستقصتْ دلالتها في التراث العربي، ووقفت علىٰ امتداداتها الدلالية، وتناولَتْ استعمالاتها عند العرب، فناقشتها من جهة دلالتها المعجمية، ووظائفها التواصلية، كما تناولت النصوص اللغوية الفصيحة التي وردَت فيها، وأهمها وأوسعها النصوص القرآنية، وقد أحصتْ الدراسة مواطن ورودها فيها، وناقشت دلالاتها بما قارنها من الأساليب، وآراء علماء اللغة والتفسير في كلٍّ منها، وحللت سياقاتها، فاستبانت مقاصدها السياقية، ثم أحصتْ امتداداتها الدلالية، واستنبطت ما تدل عليه من عمقٍ في التطور الدلالي.

ثم جنحت الدراسة في ثلثها الأخير إلىٰ دلالة هذه المادة في الدراسات النحوية، فأجرت المقارنات بين أهم مصطلحاتها الأصلية والاشتقاقية، وأصولها: الصَّرْف، والتَّصَرُّف، والتَّصْرِيفُ، والِانْصِرَافُ، موزعةً بين مواطن استعمالها ودلالاتها في الدرس النحوي، علىٰ مستوىٰ المفردات، والتراكيب، والمعاني الاصطلاحية.

ولم تُغفل الدراسة التنبيه علىٰ الاستعمالات الدلالية لهذه المادة عند المحدثين، في الاستعمالات اللغوية بعامة، المعجمية، والتواصلية، والنظرية والتطبيقية، وعلىٰ مستوىٰ الأفراد، وحركة التأليف والتعليم في العالم العربي.

ثم خلصت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

١. أن المعنىٰ المركزي(الجذري) لكلمة "صَرف" يعود في كل أحواله إلىٰ أصل محوري، تعبّر عنه مجموعة من الكلمات علىٰ حدٍّ مشترك، وهي : الرَّجْعُ

والرّد، والقلْبُ والتحوُّل، والتغيُّر والتبدّل والتنَوّع، والفضْل والتطوّع، والاحتيال والتكلف، ونجد أنَّ أغلب استعمالاتها ترجع إلىٰ هذه المعاني من قريب أو بعيد.

٢. تمتد دلالات هذه الكلمة امتدادًا موَسَّعًا جدًا، إلىٰ معانٍ فرعيةٍكثيرةٍ مشتركة في الأصل السابق كلها وترجع إليه عند التأمل، وقد أحصتْ منها الدراسة ما يزيد عن ثمانين معنًىٰ، سبعة وستون منها معانٍ سياقية في القرآن الكريم.

٣. خلصت الدراسة إلىٰ أن مصطلح "الصرْف" ومشتقاته في الدراسات النحوية قد أُطلِقَ في الكلمات المفردة، والكلام المركب، والأجزاء الصوتية، والجمل التامة، وفي تنسيق العبارات، وأُطلِق في المعاني، وطُرُق الاستعمال وكيفياته، وفي الأحكام الإعرابية، والأزمنة، والأبنية، والحذف، والزيادة.

٤. توصَّلت الدراسة ـــ بناءً علىٰ النتائج الثلاث المتقدمة ـــ إلىٰ كلمة"صرف" من المشترك اللفظي، وأنها من أثرىٰ مواد المشترك اللفظي.

٥. كشفت الدراسة أن كلمة "صرف" تدرجت دلالتها اللغوية متطورةً، فابتدأت بمعانيها المعجمية التي وردت في كلام العرب، ونص عليها علماء اللغة في المعاجم اللغوية، وعلىٰ رأسها "معجم العين" ثم توسعت هذه الدلالات في السياقات القرآنية والحديث النبوي توسُّعًا أكسبها قيمة لغوية غزيرة، ومكانة بارزة في التعبير، ثم ازدادت توسعًا عند علماء النحو، حين جعلوا منها مصطلحات لأقسام علمية معينة من المعالجات النحوية علىٰ مستوىٰ المفردات الصرفية، والجمل النحوية، والإعراب، والوصف النحوي بعامة، وتبع ذلك كله توسعها المستمر إلىٰ يومنا هذا في غالبية مجالات الحياة، بما يستعصي إحصاؤه علىٰ دارس.

٦. مما أفادته كلمة "صرف" من انتمائها إلىٰ المعجم العربي هذا التوسع الدلالي العجيب، الذي جاء من طبيعة مرونة اللغة العربية وقوتها في الاشتقاق والمجاز والكناية، ومِن ثَمَّ وجدنا الكلمة تدل علىٰ أشياء كثيرة ليس بين معناها الأصلي وبينها إلا ملابسات يسيرة، أو طَرَفٍ من خيط شديد الدقة!

٧. وجدت الدراسة أنّ دلالة اللفظ قد تمتد بسبب تنويع الأسلوب، وتعدد الغرض، مثل: "صرْف الكلام" بمعنىٰ تزيين أسلوبه والتنميق فيه حتىٰ يصرف قلوب مستمعيه، وكتسمية اللبن ساعة يُحلب "صريفًا" لانصرافه عن الضرع، أو انصراف الرغوة عنه، فالغرض الدلالة علىٰ جِدَّته.

٨. استنتجت الدراسة أن مصطلحات "الصرف، والتصريف، والتصرُّف، والانصراف" اشتركت في دلالاتها الاستعمالية اللغوية والنحوية، كما اشتركت في الاشتقاق، ويعني ذلك أن استعمالها كلها من أصلٍ لفظي واحدٍ يوحي بارتباط المعاني المصطلحية بها ارتباطًا وثيقًا، وأن ذلك له أثر كبير في فهمها وربط معالجاتها النحوية المستعملة ببعضها.

٩. ليس مصطلح "التصرُّف" في الدراسات الصرفية والنحوية خاصّا بعدم الجمود، بل قد استُعمل لمطلق التغيير، ولو كان التغيير يسيرًا، ولذلك انتهت الدراسة إلىٰ أنَّ مصطلح "التصرّف" قد استُعمِل استعمالًا واسعًا، شامِلا لجميع التغيُّرات والإجراءات السياقية اللفظية والمعنوية، وقد تجاوز "التصريف" و"الاشتقاق" فاستُعمل فيهما وفي غيرهما، و"عدم التصرُّف" من جهة معناه اللغوي الأصلي يرادُ به **الجمود**، ولكن من جهة دلالته في الاستعمال نجده موسومًا به كل شيء فيه أدنىٰ ملابسة للجمود، ولو في بعض استعمالاته، أو بعض جهاتِ وروده.

١٠. جمهور النحويين القُدَامَىٰ قد عمَّمُوا مصطلح "التصريف" علىٰ المباحث الصرفية، وإن كان بعضهم قد خصَّ به الجانب العملي(التدريبي) وبعضهم جعله مع ذلك لِما كان التغيير فيه لتوليد المعاني فقط، أما المحْدثون فقد ساوَوْا بين المصطلحَيْن: "التصريف" و"الصرف" ولكنهم غَلَّبُوا الأخير في استعمالهم وتأليفهم؛ لعموم معناه اللغوي.

١١. كان بعض قدامىٰ النحويين يسمون إعراب الاسم بالجر والتنوين: "الإجراء" ويقولون: "ما يجري وما لايجري" بدلًا من "ما ينصرف وما لا ينصرف" ثم استمر هذا الأخير، واختفىٰ الأول عند المتأخرين، واستعملوا "الصرف" مرادفًا لـ"الانصراف".

١٢. رأتْ الدراسة بعد استعراض الآراء والأدلة أن تخصيص "ما ينصرف وما لا ينصرف" بهذا الاسم ما هو إلا تخصيصٌ للدلالة بالعُرْف، وتقييد لمطلق معنىٰ "الصرْف" لأجل ضبط العلْم وتحديد قواعده، وهو من تسمية الشيء ببعض مايجري له، أو ببعض سماته أو ما يتصل به، وهو من سنن العربية.

١٣. خلصت الدراسة أيضا إلىٰ أن اصطلاح الكوفيين علىٰ تسميتهم لنصب المضارع بعد حروف العطف في سياق نفي أو طلب: "صرْفًا" يُعَدُّ نوعًا من تخصيص الدلالة، وهو إطلاق هذه الكلمة علىٰ بعضٍ مما يصدق علىٰ معناها اللغوي المركزي العام.

والله أعلم.

سادساً: ثَبَت المراجع

١. الإبانة في اللغة العربية، لسلمة العوتبي،حققه مجموعة من المحققين، ط٢،١٤٣٧ه سلطنة عُمان.

أدب الكاتب بشرح البطليوسي =الاقتضاب.

٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب ، لأبي حيان الأندلسي ، تحقيق مصطفىٰ النماس،ط١، ١٤٠٤هـ مطبعة النسر الذهبي .

٣. أساس البلاغة للزمخشري، تحقيق محمد عيون السود ، ط١، ١٤١٩هـ ، دار الكتب العلمية ، بيروت

٤. الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، لإدريس مقبول، ط١، ٢٠٠٦، جدارا للكتاب العالمي/ عالم الكتب الحديث، الأردن.

٥. إسفار الصباح عن ضوء المصباح، لابن النحوية، تحقيق: إبراهيم الزيد، ط١، ١٤٣٣ه، دار كنوز إشبيليا، الرياض.

أشعار الهذليين للسكري = شرح أشعار الهذليين.

٦. الأصول في النحو لابن السراج،تحقيق عبد لحسين الفتلي، ط١، ١٤٠٥هـ،مؤسسة الرسالة، بيروت.

٧. الاقتضاب في شرح أدب الكُتّاب، لابن السِّيد البطليوسي، تحقيق محمد باسل عيون السود، ط١، ١٤٢٠ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

٨. البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي، بعناية زهير جعيد ، ط/ المكتبة التجارية بمكة المكرمة .

٩. البرهان في علوم القرآن للزركشي،تحقيق محمد أبو الفضل، دار المعرفة ، بيروت.

١٠. التتمة في التصريف،لابن القبيصي،تحقيق:محسن العميري،ط١، ١٤١٤ه/ نادي مكة الأدبي.

١١. التحرير والتنوير لابن عاشر، ط/ ١٩٩٧دار سحنون، تونس.

١٢. التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل، للإمام أبي العباس أحمد بن عمار المهدوي، تحقيق: دار الكمال المتحدة، ط١، ١٤٣٥ه، نشرة وزارة الأوقاف بدولة قطر.

١٣. التطبيق الصرفي لعبده الراجحي، لعبده الراجحي، ط/ دار النهضة العربية، بيروت.

١٤. التعريفات للجرجاني ، تحقيق محمد المرعشلي ط١، ١٤٢٤هـ دار النفائس ، بيروت

تفسير الرازي = تفسير الفخر الرازي

١٥. تفسير الطبري، ط٣، ١٣٩٨هـ دار المعرفة ـ بيروت.

١٦. تفسير الفخر الرازي(التفسير الكبير ـ مفاتيح الغيب) للإمام فخر الدين الرازي، ط١، ١٤١١ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

تفسير القرطبي = الجامع لأحكام القرآن

التفسير الكبير = تفسير الفخر الرازي

١٧. تفسير النسفي(مدارك التنزيل وحقائق التأويل) للإمام عبد الله بن أحمد النسفي، تحقيق مروان الشعّار، ط٢، ١٤٣٠ه، دار النفائس، بيروت.

١٨. تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد، لمحب الدين محمد المعروف بناظر الجيش، حققه مجموعة من المحققين، ط١، ١٤٢٨، دار السلام، مصر.

١٩. تهذيب الكمال في أسماء الرجال للحافظ المِزّي، تحقيق بشار عواد معروف، ط١، ١٤٠٨هـ مؤسسة الرسالة، بيروت.

٢٠. تهذيب اللغة للأزهري، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط١، ١٣٩٦م مكتبة الخانجي بالقاهرة

٢١. توضيح المقاصد والمسالك، لابن أم قاسم المرادي، تحقيق عبد الرحمن سليمان، ط٢، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر.

٢٢. جامع الدروس العربية للغلاييني، للشيخ مخصطفىٰ الغلاييني، ط١، ١٤٢٣ه، المكتبة العصرية، بيروت.

٢٣. الجامع لأحكام القرآن لمحمد الأنصاري القرطبي،دار إحياء التراث العربي، ١٩٦٧، بيروت

٢٤. جمهرة اللغة لابن دريد، تحقيق رمزي منير بعلبكي، ط١، ١٩٨٨م دار العلم للملايين بيروت .

٢٥. الجنىٰ الداني للمرادي، تحقيق فخر الدين قباوة ومحمد نديم ، ط١، ١٤١٣هـ بيروت.

٢٦. الحدود للرماني: رسالتان في اللغة، لأبي الحسن الرماني، تحقيق: إبراهيم السمرائي، ط/ ١٩٨٤، دار الفكر، الآردن.

٢٧. حروف المعاني للزجاجي،تحقيق: علي توفيق ، ط٢، ١٤٠٦ه، مؤسسة الرسالة، الأردن.

٢٨. الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢٩. دراسات في فقه اللغة، لصبحي الصالح ، ط١، ١٣٧٩هـ دار العلم للملايين ، بيروت .

٣٠. دلالة الألفاظ لإبراهيم أنيس ، ط٦، ١٩٨٦، دار المعارف ـ القاهرة.

٣١. ديوان الأدب ميزان اللغة ومعيار الكلام، لإسحاق بن إبراهيم الفارابي،

تحقيق محمد السيد عثمان، ط١، ٢٠١١، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢. ديوان النابغة الذبياني: تحقيق شكري فيصل. ط٢، ١٤١٠ه، دار الفكر، بيروت.

٣٣. ديوان سابق بن عبد الله البربري،تحقيق:بدر أحمد، ط/ ١٩٨٧، دار المعرفة الجامعية، مصر.

٣٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلّامة شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي، بتحقيق: السيد محمد السيد، وسيد إبراهيم عمران، ط/ ١٤٢٦ه، دار الحديث، القاهرة.

٣٥. الزاهر في معاني كلمات الناس لأبي بكر ابن الأنباري ، تحقيق حاتم صالح الضامن، ط١، ١٤١٢هـ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت .

٣٦. سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث، ط٢، ١٤١٣ه، نشر: دار الدعوة ودار سحنون، استطنبول.

سيبويه = الكتاب لسيبويه

٣٧. شرح ابن عقيل علىٰ ألفية بن مالك ، للقاضي عبد الله بن عقيل ، تعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط٦، دار الفكر ، بيروت.

٣٨. شرح أشعار الهذليين، لأبي سعيد السكري، تحقيق عبد الستار أحمد، ومحمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة.

٣٩. شرح الأشموني علىٰ ألفية ابن مالك، ط دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة .

شرح السيرافي علىٰ سيبويه = شرح كتاب سيبويه

٤٠. شرح القصائد المشهورات، ابن النحاس، ط١، ١٤٠٥ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤١. شرح الكافية الشافية لابن مالك، تحقيق عبد المنعم هريدي، ط/ جامعة أم القرىٰ، دار المأمون للتراث.

٤٢. شرح اللمع للأصفهاني ، تحقيق إبراهيم أبو عباة ، ط١، ١٤١٠هـ جامعة الإمام بالرياض .

٤٣. شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط١، ١٣٩٣هـ ، المطبعة الصليبية بحلب .

٤٤. شرح شافية ابن الحاجب لرضي الدين الإسترآبادي ، تحقيق محمد نور الحسن ومحمد الزفزاف ومحمد محي الدين عبد الحميد ،ط١٤٠٢هـ. دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٥. شرح كتاب سيبويه، لأبي سعيد السيرافي، بتحقيق أحمد مهدلي،وعلي سيد، ط١، ١٤٢٩ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

٤٦. شرح مختصر التصريف العزي في فن الصرف للتفتازاني ، تحقيق عبد العال سالم مكرم ط١، ١٩٨٣م الكويت .

٤٧. الصاحبي في فقه اللغة للعلامة أحمد بن فارس ، تحقيق مصطفىٰ الشويمي ، بيروت ١٩٦٣.

٤٨. الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، لإسماعيل الجوهري ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط٣، ١٤٠٤هـ دار العلم للملايين ، بيروت .

٤٩. صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم وسننه وأيامه) للإمام البخاري الجعفي،تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، ط١، ١٤٢٢هـ، دار طوق النجاة.

٥٠. صحيح البخاري ، ط٢، دار سحنون ـ تونس.

٥١. صحيح مسلم (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلىٰ رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم) ، للإمام مسلم النيسابوري،تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٥٢. الصرف الوافي لهادي نهر، ط١، ١٤٣١ه، عالم الكتب الحديث، الأردن.

٥٣. طَلِبَة الطَّلَبَة في الاصطلاحات الفقهية، للإمام نجم الدين عمر بن محمد النسفي، عُني به: الشيخ خالد عبد الرحمن العك،ط٣، ١٤٣١ه، دار النفائس، بيروت.

٥٤. علل النحو، لأبي الحسن الوراق، تحقيق مجمود الدرويش، ط١،١٤٢٠هـ مكتبة الرشد، الرياض.

٥٥. علم الدلالة، لأحمد مختار عمر، ط٦، ١٤٢٧ه، عالم الكتب، القاهرة.

٥٦. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي،تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السمرائي، مكتبة الهلال

٥٧. غرائب التفسير للنيسابوري بحاشية تفسير الطبري = تفسير الطبري.

٥٨. غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي، ط١، ١٤٠٦هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٥٩. غريب الحديث للخطابي، للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البُسْتي، تحقيق عبد الكريم العزباوي، ط/ ١٤٠٢ه، دار الفكر، دمشق، نشرة جامعة أم القرىٰ بمكة المكرمة.

٦٠. الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، تحقيق علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل، ط٢، عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه.

٦١. الفائق في غريب الحديث،للزمخشري،تحقيق:علي البجاوي ومحمد أبو الفضل،ط٢،عيسىٰ البابي الحلبي،مصر.

٦٢. فتح الرحمن في تفسير القرآن، للإمام مجير الدين بن محمد العُلَيمي، بتحقيق: نور الدين طالب، ط١، ١٤٣٠ه، دار النوادر، دمشق/ بيروت، نشرة وزارة الأوقاف بدولة قطر.

٦٣. فصول في الدلالة ما بين المعجم والنحو، للأزهر الزناد، ط١، ١٤٣١هـ تونس.

٦٤. الكامل للمبرد ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، ط١، ١٤٠٦هـ مؤسسة الرسالة ، بيروت.

٦٥. كتاب الأفعال، لابن القاطاع الصقلي، تحقيق إبراهيم شمس الدين، ط١، ١٤٢٤ه، دار الكتب العلمية.

٦٦. الكتاب لسيبويه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ،ط٢، ١٤٠٢هـ ، دار الجيل، مصر .

٦٧. كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، للتهانوي، تحقيق:علي دحروج، ط١٩٩٦،١م، لبنان.

٦٨. الكشاف للزمخشري، ط/ دار المعرفة ـ بيروت.

٦٩. الكليات، لأبي البقاء الكَفَوِيّ، تحقيق عدنان درويش ومحمد المصري، ط٢، ١٤٣٢هـ، مؤسسة الرسالة، دمشق/ بيروت

٧٠. اللامات للزجاجي، تحقيق مازن المبارك ، ط٢، ١٤١٢هـ دار صادر ، بيروت.

٧١. اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري ، تحقيق عبد الآله نبهان ، ط١، ١٤١٦هـ دار الفكر ، بيروت .

٧٢. لسان العرب لابن منظور الأنصاري ، ط دار صادر ، بيروت .

٧٣. اللمع في العربية لابن جني ، تحقيق حامد المؤمن، ط٢، ١٤٠٥ه، عالم الكتب، بيروت.

٧٤. ما لا ينصرف، للزجاج ، تحقيق هدىٰ محمود ، ط٢، ١٤١٤هـ ، مكتبة الخانجي ـ القاهرة

٧٥. المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، للحافظ أبي موسىٰ محمد بن أبي بكر المديني، بتحقيق عبد الكريم العزباوي، ط١، ١٤٠٨ه، جامعة أم القرىٰ، مكة المكرمة.

٧٦. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز للإمام عبد الحق بن عطية الأندلسي ، تحقيق الشيخ عبد الله بن إبراهيم الأنصاري وصاحبيه ، ط١، ١٩٨٢م ، قطر .

٧٧. الْمُحْكَم والمحيط الأعظم، لأبي الحسن علي بن إسماعيل ابن سِيدَهْ الْمُرْسي، بتحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢١ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

٧٨. مدخل إلىٰ علم الدلالة لفرانك بالمر، ترجمة خالد محمود جمعة،ط١، ١٩٩٧، الكويت.

٧٩. المدخل إلىٰ علم اللغة ومناهج البحث اللغوي لرمضان عبد التواب ، ط٣، ١٤١٧هـ مكتبة الخانجي القاهرة .

٨٠. مراقي السعود إلىٰ مراقي السعود، لمحمد الأمين الجكني، تحقيق: محمد المختار الشنقيطي، ط١، ١٤١٣ه، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.

٨١. مراقي السعود لمبتغىٰ الرُّقِيّ والصعود، لسيدي عبد الله الشنقيطي، عُني به: محمد ولد سيدي، ط١، ١٤١٦ه، دار المنارة، جدة.

٨٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي ، بعناية محمد أحمد جاد المولىٰ وعلىٰ البجاوي ومحمد أبو الفضل، ط دار الفكر .

٨٣. مسائل خلافية في النحو، لأبي البقاء العكبري، تحقيق: محمد خير الحلواني، ط١، ١٤١٢هـ، دار الشرق العربي، بيروت.

٨٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل، حقَّقه: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، بإشراف: د. عبد الله التركي، ط١، ١٤٢١هـ، مؤسسة الرسالة.

٨٥. مصطلحات النحو الكوفي للدكتور عبد الله الخثران ، ط١، ١٤١١هـ ، هجر ، مصر

٨٦. المطول في شرح تلخيص مفتاح العلوم، لسعد الدين التفتازاني، تحقيق عبد الحميد هنداوي، ط١، ١٤٢٢ه دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٧. معالم السنن، شرح سنن أبي داود، الإمام الخطابي، عُنِي به عبد السلام عبد الشافي، ط/ ١٤١٦هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

٨٨. معاني القراءات،لأبي منصورالأزهري،تحقيق عيد مصطفىٰ،وعوض القوزي، ط١٤١٤،١ه،دار المعارف.

٨٩. معاني القرآن للفراء ، ط٢، ١٩٨٠م ، عالم الكتب بيروت .

٩٠. معاني القرآن وإعرابه للزجاج، تحقيق عبد الجليل شلبي، ط١، ١٤٠٨هـ،عالم الكتب،بيروت

٩١. معجم أمهات الأفعال معانيها وأوجه استعمالها، لأحمد عبد الوهاب بكير، ط١، ١٩٩٧، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

٩٢. المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط٢، ١٣٩٢ه، المكتبة الإسلامية، تركيا.

٩٣. المغني لابن هشام: المغني عن كُتب الأعاريب، تحقيق مازن المبارك وزميله ، ط١، ١٣٩٩هـ باكستان.

٩٤. المغني في تصريف الأفعال، للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة، ط٢، ١٤٢٠ه، دار الحديث، القاهرة.

٩٥. المفتاح في الصرف،لعبد القاهر الجرجاني،تحقيق:علي توفيق ، ط١، ١٤٠٧ه، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٩٦. المفراح في شرح مراح الأرواح في التصريف، لحسن باشا، تحقيق شريف النجار، ط١، ١٤٢٧ه الأردن

٩٧. مفردات ألفاظ القرآن الكريم، للراغب الأصفهاني، تحقيق صفوان عدنان، ط١، ١٤١٢ه، دار القلم، دمشق.

٩٨. مقاييس اللغة للعلامة أحمد بن فارس ، ط١، ١٤٢٢هـ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

٩٩. المقتضب لأبي العباس المبرد ، تحقيق عبد الخالق عضيمة، ط١، القاهرة ١٣٩٩هـ، مصر

١٠٠. الممتع في التصريف لابن عصفور الإشبيلي ، تحقيق فخر الدين قباوة ، ط١، ١٤٠٧هـ دار المعرفة، بيروت .

١٠١. المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ط٣، ٢٠٠٨/ دار المشرق بيروت.

١٠٢. المنصف في شرح التصريف ، لابن جني ، تحقيق إبراهيم مصطفىٰ وعبد الله أمين ، ط١، ١٣٧٩هـ ، مطبعة البابي الحلبي .

١٠٣. الموفقي في النحو، لابن كيسان، بتحقيق: عبد الحسين الفتلي، وهاشم طه شلاش، نُشر في مجلة المورد ببغداد، المجلد الرابع، العدد: ٢، عام ١٣٩٥ه.

١٠٤. نتائج الفكر في النحو، لأبي القاسم السهيلي، حققه: عادل أحمد، وعلي معوّض، ط١، ١٤١٢ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٥. النحو الوافي، لعباس حسن، ط١٥، دار المعارف.

١٠٦. نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة لمحمد طنطاوي، ط/ ١٤٢٦ه، عالم الكتب، بيروت.

١٠٧. نشر البنودعلىٰ مراقي السعود،لسيدي عبد الله الشنقيطي، ط١، ١٤٠٩ه، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٠٨. نظرية علم الدلالة، لراث كيمبسون، ترجمة عبد القادر قنيني، ط١، ١٤٣٠ه، دار الأمان، الرباط.

١٠٩. النهاية في غريب الحديث والأثر، للمبارك بن الأثير، تحقيق أحمد الخراط، ط١، ١٤٣٤ه، المكتبة المكية.

١١٠. الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، للحسين بن محمد الدامغاني، تحقيق: محمد حسن أبو العزم الزفيتي، ط/ ١٤٣٣ه، لجنة إحياء التراث بوزارة الأوقاف المصرية، القاهرة.

١١١. الوجيز في علم التصريف، لأبي البركات الأنباري، تحقيق: علي البواب،ط١، ١٤٠٢هـ، دار العلوم ، السعودية.

*** *** ***